



Looloo

www.dvd4arab.com

مقدمة

لماذا تتحرك الظلال في الردهة ؟

لماذا تتحرك الظلال بالذات حين تكون شيئاً
فلقياً ، وحين تكون وحيداً ، وحين تجلس ليلاً
تكتب مذكرتك على ضوء مصباح واحد ؟

لماذا تتحرك الظلال في الردهة ، حين يكون
الصراخ غير ذي نفع ، وحين يكون الجيران قد
ناموا ، والليل نفسه قد نغمس ، ويكون الهاتف
مغطلاً كالعادة ؟

لماذا تتحرك الظلال في الردهة ، حين تكون في
غرفة مكتبك .. حيث المسبيل الوحيد للخروج من
الشقة هو الردهة ذاتها !!!

لماذا تتحرك الظلال في الردهة ، بينما أنت
- ببساطة - لا تريد ذلك ؟

كلها أسئلة بلا جواب كالعادة ..

إحدى الإجابات المحتملة أنهم قد جاعوا من أجلك .. من هم ؟ لا يهم .. فهم كلهم يتشابهون ، ويفعلون نفس الأشياء ..

إحدى الإجابات المحتملة أنك قد ضرت شيئا مغرقا ، وأن حياة الوحدة والانسحاب قد أصابتك بالبارتوسيا ، وهي الثمرة الوحيدة الموجودة في حديقة ذكريات من عاشوا حياتي .

إنه احتمال قوي ومريح ، ويطمئني كثيرا ..

دعونا من ظلال الردهة ، ولنتجاهل سببها مؤقتا .. لو أضعنا وقتنا على كل ظل يتحرك في الردهة فلن نجد وقتا كافيا لشيء آخر ..

اليوم نلتقي و (هن - تشو - كان) الذي غاب عنا منذ الكتيب الرابع عشر^(*) .. إنه هنا معنا ،

(*) يقبل إلى أن مراجعة كتيب (١١) وكتيب (١٢) ستجعل الأمور أفضل نوعا ما !

ومناقشة كابوسية عن شيء ما وجدته الأمريكيون عام ١٩٣٧ .. ومعا الدكتور (رفعت إسماعيل) الكهل الذي يحاول - برغم كل شيء - أن يحتفظ بجسده كاملا قطعة واحدة ..

هل أنتم جميعا هنا ؟

هل عيونكم متسعة ، وأذانكم مرهقة ، ورجوسكم دافئة مني ؟

إن .. فنندا ..

* * *

١ - مهمة سرية جداً ..

السبت ٦ ديسمبر عام ١٩٤١ ..

الساعة الثامنة مساءً ..

يقف (جيمس ثورنوايلد) قائد الفرقاطة
الأمريكية (إيليت) على ظهر فرقاطته ، يرمى
المياه الثقيرة في قتل ..

ينظر إلى ساعته .. الثامنة ؟ كل هذا الوقت
ضائع في هراء لا أول له ولا آخر ، والمفترض
أن يكونوا الآن في قلب المحيط الهادئ ، بعيداً عن
هذه الأرض التي تتلذذ بالويل في كل دقيقة ..

كانت التعليمات التي أعطيت له غامضة ، وهو يملك
التعليمات الغامضة بشكل خاص .. إنه يتحرك في
الظلام ، ولا يعرف بالضبط نوعية الخطر الذي

« عندما تقرب الشمس ، وتلطفخ

دماؤها ثوب المساء الأزرق ..

عندئذ يبدأ فجر (النافاري) »

يتهدد هذه الرحلة إن كان هناك حقاً خطر ما ..
كان يعرف فقط أن للخطر باقياً ، وأن هؤلاء
الـ (جاكسون) - كما يمللون اليانكيين - راغبون
بشدة في الشحنة التي يحملها .. لماذا ؟ هل هي من
الذهب ؟ هل هي لوحات ثمينة أو قنابل نو .. ؟

لم يخبره أحد ، ولا يبدو أنهم سيخبرونه حتى
بعد انتهاء المهمة ..

صاح في (جاكسون) بمساعدته الأول :

- « هل تم كل شيء ؟ »

- « آى آى يا سيدى .. لقد نقلنا كل شيء »

إلى قاع الفرقاطة .. »

- « وهل الصنديق مؤمنة ؟ ستبقى كثيراً من

الاهتزازات .. »

- « البحارة ينتهون من ربطها يا سيدى .. »

- إذن .. فلتعد فورا الآن .. »

وتتهد في ارتياح ، وأصدر أوامره برفع المرساة
وتشغيل المحركات .. وبدأت الفرقاطة تستدير ببطء
رحلتها قرصية عبر المحيط الهادى ..

* * *

كانت الحرب العالمية الثانية في أوج مجدها ،
وكان (هتلر) عاكفاً على إهتلاع أوروبا قطعة
قطعة ، وقاذفه تهوى فوق بالووخ البريطانيين في
كل مكان .. لكن أمريكا لم تكن طرفاً في هذه
الحرب على الإطلاق .. حتى الآن ..

لقد تزوى الحلفاء الأمريكى على نفسه وراء
المحيط الأطلنطى ، وسد أذنيه كي لا يسمع صوت
القنابل والصرخات ، وكى لا يسمع (تشرشل)
يصيح من (بريطانيا) : لا بد أن تدخلوا الحرب !
إن دوركم آت لا محالة !

وكانت اليابان قد غزت الصين عام ١٩٣٧ ، لكن لم يحدث ما يورط الأمريكيين في الحرب ، وظل أسطولهم يمارس حياة هائلة نسبياً في المحيط الهادئ ، وفي مراكى (هاواي) و (هونولولو) الجميلة الوردية ..

لم يكن (ثورنولد) يحب اليابانيين ولا الصينيين - بالأحرى كان يشعر بالشعور منهم ، وبأن عيونهم للضيقة عيب خلقي يدل على الغباء ..

لكن للتطريعات صدرت له بأن يبدو بفرقاطته من ساحل الصين ، عند ذلك الخليج الذي تلاصق فيه حدودها حدود (منشوريا) .. وعليه أن ينتظر حتى تصل بضعة قوارب تحمل صنابير خشبية معونة .. سيكون عليه أن ينقلها إلى (هاواي) بحالة ممتازة ، وعليه ألا يفتح أي صندوق ، أو يجرب عن أية أسئلة يوجهها بحارته ..

- « أجيب ؟ » - قلها في شعرك - « أجيب

عن أي شيء بالضبط ، ولما لا أملك أُنسى تصور عن محتوى تلك الصناديق ؟ »

لكنه حين أن محتوى الصناديق شيء يريد الصينيون أن يبعثوه عن يد اليابانيين .. شيء قادم من (تشوكوتيا) قرب (بكين) ..

أخيراً - في ضوء الغروب - رأى القوارب ، ورأى بحارتها الصينيين شديدي السلم والنعول ، واثنين فتك الأقوياء بصحة أكثرهم ..

وكانت الصناديق تحمل بالفعل عبارات بالصينية ، لكنه استطاع أن يقرأ اسم (تشوكوتيا) بحروف لاتينية على كل صندوق .. وكانت مظلة بخارية ، وقد تم لفها بشرائط من (الألومنيوم) مع توزيع للشمع الأحمر بخارية لتلك من أن لهذا أن يفتح شيئاً .. وكما قلنا آنفاً ، انتهت عملية التعميل نحو

الثامنة مساءً ، واستطاع (ثورنوايك) أن يصدر
أوامره لرجاله بالإقلاع ..

* * *

وفي الثامنة من صباح اليوم التالي هجم اليابانيون
الأسطول الأمريكي في (بيزل هاربور) ..

إن من شاهدوا فيلم (تورا-تورا-تورا) يعرفون
كل تفاصيل هذا الهجوم المباغت المفكر ، البطولي
برغم كل هذا ..

إن اليابانيين بطاريهم الانتحاريين ، وطائرات
(زيرو) الشبيهة بلعب الأطفال الزنبركية ، قد
تمكنوا في ذلك اليوم من إغراق أربع قطع عسكرة
أمريكية ، وعطلوا أربعة غيرها ..

لقد تلقت الولايات المتحدة ضربة قاصمة لم
تستطع نسبتها قط ، ويمكن القول عملياً إن الحرب
بدأت وقد فقدت أسطولها ..

(*) نمر - نمر - نمر .. باليهية ..

هذه قصة طويلة ، لكن ما يعيننا منها هو
موقف الكتبتن (ثورنوايك) ورجاله حين سمعوا
الأخبار الرهيبة في تلك الصباح ..

يجب أن نقول هنا إنهم لم يعرفوا شيئاً حتى
الظهيرة ، وحين تجحوا في التقاط بعض موجات
الراديو .. لم يكن أحد يتحدث إليهم أو عنهم ..

من الواضح أن الصدمة ألقت الجميع نوازهم ،
ولبعض الوقت نسوا كل شيء عن القرطاسة
(إيليت) ..

كان شعور الرجال مريراً ، وعلى شفاههم كان
تلهزيمة مذلي كشد متوحة من مياه البحر ذتها ..
لقد فقدنا أسطولنا وخيرة بحارتنا ..

والمشكلة هي : هل نعود إلى (هالواي) أم ماذا ؟
لقد صار المحيط الهادي كله خطراً داهماً الآن ،
والأسطول الياباني يجول فيه بحرية كاملة .. حرية
البلطجي الذي لم يعد هناك من يقف في طريقه ..

ماذا لو قلبنا قلبتيون ؟ ماذا لو فوجئنا بمسرب
من طائرات (زيرو) لقي بفضل طياروها الدخول
بالطائرة في قلب الهدف ، بدلاً من التصويب عليه ؟
لا جواب سوى أن نستمر فيما نفعه الآن ..

لنهر ..

* * *

كان (ثورنوايلد) منهمكاً في تفاصيل مهمته
الخطرة ..

وعندما يكون الخطر واقعاً وملموساً ، يندو
الاهتمام بتفاصيل البحارة شيئاً متراًفاً لا وقت له ..
نوعاً من تهديد الطائرات في هراء ..

مثلاً حين يتحدثون عن أصوات غريبة تنبعث
من الصناديق الموجودة في قاع الفرقاطة ..

مثلاً حين يتحدثون عن الجو المشنوم الرهيب

الذي شعر به جميع ركاب الفرقاطة ، بمن فيهم
(ثورنوايلد) نفسه ..

مثلاً حين يتساقطون عن قطرات السائل الأخضر
التي تتساقط من أحد الصناديق بالذات ..

حين كانوا يثرثرون في أسوار كهذه ؛ كان القائد
يلهمهم بالصمت ، ويأمرهم بالكف عن لعب دور الدجاج
المذعور .. إن القلبيين خطر داهم حقيقي ..
لما ما يتكلمون عنه فنوع من أحداث للنسوة
المعجز في القوي ..

وكان يدرك أن مخوياتهم في الحضيض الآن ..
قطعة من الأسطول المهزوم المحطم تحول للحلق
بزميلاتها .. لا بد أن هذا الإحباط قد لقي بنوره
السيمة في مخوياتهم .. وهو على كل حال سينفذ
مهمته سواء أرائوا أو لم يريدوا .. لن يلقي
الصناديق في البحر استجابة لهؤلاء المطالبين ، وهم

لن يتمردوا طيعاً .. إنها قطعة من الأسطول
الأمريكي ، وليست سفينة (كريستوفر كولومبوس)
المتجهة إلى حافة العالم ..

* * *

وفي ٨ ديسمبر أعلنت الولايات المتحدة دخول
الحرب ضد اليابان .. كان هذا بناءً على ضغوط
من أعضاء الكونجرس على الرئيس الأمريكي ..

وكان هذا يوم سعد بالنسبة لـ (تشرشل) الذي
كان يتصرف في أن يضم تلك الحليف القوي ، ذا
الموارد البكر ، إلى صفه ..

لكن كان على الولايات المتحدة أن تفقد الكثير على
رفعة شطرنج المحيط الهادئ في البداية .. وراحت
الجزر تسقط تباعاً ، والقوات الأمريكية تتراجع
أمام الأتزام للصفر الذين لا يخافون الموت ..

وعند غروب شمس الثامن من ديسمبر - وهو

غروب ميكر طبعاً - هوت أولى القذائف جوار
القرقطة (إيليت) ..

وحين تفحص (ثورنوايلد) الأفق ، استطاع أن
يرى ثلاث قطع من الأسطول الياباني تطارده
بسرعة تفوق سرعته ..

ولدى انفجار القذيفة الثانية ، قرر الرجل أن
الاستسلام هو الحل الوحيد بدلاً من تكبير سفينته
وإغراق رجاله في قتال لا جدوى منه ..

رفعوا العلم الأبيض ، وأرسلوا إشارات ضوئية
تعلن استسلامهم ، وبعد قليل جاء زورقان يابانيان
لنقل الرجال إلى أكبر السفن اليابانية الثلاث ..

ها هو ذا يصعد إلى سطح السفينة ، ليرى قبطنتها ..
يؤدي له التحية العسكرية وكذا يفعل الياباني ..
سيعرف فيما بعد أن الياباني هو الكوماندور
(ميتسو جوياما) ..

قال (ثورنوايلد) لأسره الياباني الذي كان يتكلم
بعض الإنجليزية :

« أرجو أن تعني برجالى .. إنهم جنود
شجعان .. »

قال (ميتسو جوياما) بنبرة غليظة :

« هؤلاء لم يموتوا رجالاً .. إنهم مجرد
أسرى ! »

وهو ما سمعته الجنود الأمريكيون والبريطانيون
مراراً خلال هذه الحرب .. إن الياباني يحتقر
الأسرى ويراهم جبناً .. ولو كانوا أكثر شجاعة
لفضلوا الموت على ذل الأسر .. الجندى الشجاع
لا يؤسر أبداً ، لكنه ينتصر أو يموت ..

ونتيجة لهذا ، سيدرك هؤلاء الأسرى أن معاملة
اليابانيين لهم شبيهة بمعاملاتهم للحيوانات .. إن
أسرى الحلفاء لدى الألمان كانت لهم حقوق ، وكفوا
في حال لا بأس بها ، أما القنصاء الذين أسره
اليابانيون فحكاياتهم تملأ الكتب ، وكلها تبعث
لترجفة في الأوصال ..

سيعرف البحارة الأمريكيون هذا وأكثر ! لكن
هذا ليس بالقصيد موضوع قصتنا .. إن ما نكلم
عنه لهو مصير الصناديق التى كانت فى قاع
الفرقاطة^{١٣} ..

للأسف ، كانت هذه آخر مرة تتحدث فيها
كتب التاريخ عن تلك الصناديق .. لكن هناك من
وجدتها .. وهناك من فتحها .. وهناك من ..
فلنرى معاً .. ولتر ما سيحدث بعد قليل ..

* * *

(*) القصة التى حكيناها فى هذا الفصل حقيقية تماماً ..

٢- (طوكيو) - (نافاراي) - أشياء أخرى ..

(هن - تشو - كان) من جديد !

هذا الفصل من حياتي ومن معارفى اشك كثيرا
في نفسى عشته كان (نافاراي) القادم من
(التبت) والقرن السادس عشر قى عالى .
ومعه مشاكل لا قبل لى بها

غير لى فلما احتفظت بحب واحترام لاحتد منما
احتفظت بهذا الفتى الفحيل قصصوت ، قذى بملك
من القوة النفسية ما يفوق عشرة رجال . وقد
سيطرت قوته النفسية على كل عصاة وكل عصب
فى جسده ثم إنه من القلائد الذين يعطون ثم
يقولون وليس العكس . حقيقا يفعل ولا يقول
على الإطلاق وهو بهذا يكرنى بكلمات شاعرنا
العرى البليغة :

. بُعْث الطير أكثرها صبحاً

ولم تصح أبداً ولا الصقور

صعاف الأسد أكثرها رنبر

وأخطرها انوائى لا ترير .

(بعث الطير) هى الضعيف منها . حقا لقد
كان (هن - تشو - كان) أبداً . وأبداً خطيرا
لم يزل يوم ، ولما يكتفى بالوثب وتمريق
صحاباء ..

كانت تلك هى روبرتى القوية ذليل . ربما كان
تلك علم ١٩٧٢ . ولم يكن نقد لاحتفظت لتوربغ
فى ذهنى على كل حال . كنت قد فلتت بصبحى
من فنى (معنى هذا نفسى ولجيت لوباء) ، لكنى
لم تكن قد تنقبت قبلة (للتفصيل) بعد (معنى هذا
فنى لم تكن قد فلتت العفنى) . ابن كان هذا
فى الاعولم الثلاثة الأولى من السبعينات

لماذا الياباني يذات ؟ لا أفكر السبب ربما كان مؤتمرا ما لتضامن الشعوب ، والحظ من التسليح النووي .. إذن لابد أنه كان في الساعات من أغسطس ذكرى قبلة (هروشيما) الشهيرة ونوري كان - بالطبع - ضمن الجانب الطبي للمؤتمر ، لأن القنابل الذرية تسبب سرطان الدم كما نعلم ..

كنت أقدم في (طوكيو) و (طوكيو) هي العاصمة طبعاً ، وكان تعدادها عشرة ملايين في ذلك الوقت ، وكان هذا كافياً لجعلها عاصمة شديدة الإزعاج ، الفكرة هنا هي أن مملكة اليابان صغيرة جداً ..

إن (طوكيو) مدينة عجيبة متنوعة الأوجه :

(* كلمة (طوكيو) معناها عاصمة قسري وقد صارت

العاصمة من عام ١٨٦٨ م

تلة تجدها غريبة جداً مليئة بتضاريس المسطح والمركز التجارية ودور الترفيه .. يكفي أن تجوب شوارعها لئلا تتعجب بـ (ذبول الأصواء) الشهير ، وتارة هي تلك القبة القلبي فحرق بمعدنه وقصور أرائه وبيوته المرخفة الجميلة .

كل شيء جميل نظيف في اليابان ما عدا الطعام ؛ وطعمهم لا يطلق حفا ، إنه تلك المزيج الكريه من السمك اللين والأعشاب البحرية التي لا تختلف عن البرسيم كثيراً كل هذا غارق في صلصة فول الصويا هل هناك شيء في العالم اسمه (صلصة فول الصويا) ؟

وعليك أن تحب هذا كله ، وأن تبتسم وتتلمظ ولا اعتبروك قليل التهذيب ..

ما علينا . المهم هنا هو أنني فلتت (هن - تشو - كان) شخصياً ، وفي (طوكيو) ذاتها . كيف ؟ سأحكى كل شيء ..

* * *

لم تكن للمراسلات قد قفطعت بينى وبين
القلى ، خاصة فى الاعوام الاخيرة

كان يتطور باستمرار ، وصار يبنى لهذا
العصر بقوة ، كما أن إنجليزيتة صارت على
مديون بل وصيبنه أيضا فهو - كما تعرفون -
كان قد قرر الإقامة فى الصين دائما - إنه ليس
صينيا ، ومراق يعتبر الصينيين أولئك الخرافة الذين
احتلوا (التبت) - وطنه - وغرخوا علاقته وتقليده ،
وأرغموا (الدلاى لاما) على الهرب إلى الهند
لكن الزمن يتغير ، وقد صار من المحال أن يعود
(التبت) كما كان - بهذا اندماج مع الصينيين ،
وبشكل لا أظن أنه استطاع الحصول على الجنسية
الصينية

وكانت آخر أخباره هى اتصانه لفريق من
علماء الخطريات فى (مشوروا) فى الشمال الشرقى
لصين إلى ما قام به (هن - تشو - كان) فى
حملة رجس للجديد قد رفعت من أسهمه لدى

الصينيين - ولأسباب عديدة وجدوا أنه مناسب
للمشاركة فى الحملات فى التبت فى البكر ،
وما لكثير التبت فى البكر فى الصين !

بعد هذا قال لى به داهب إلى قيبس فى مهمة
معية لها طابع دراسى ، ولم أظن لكس أخبارته
لنى سأكون فى (طوكيو) فى (أغسطس)
القادم - قال إنه سيحاول الاتصال بى

وتسيت كل شيء عن الموضوع كالمادة ، حتى
فوجئت بمن يتصل بى فى فندق (داليس) بحى
(اسك) ، وهو فندق فخر له طابع غربى ،
كنت أقيم به على حساب الموممر طبعاً

وكان يتحدث خليط من الإنجليزية والعربية
لنى صار يعرفها جيدا كما يظن القارئ
- « وكيف عرفت لنى هذا بالذات ؟ »

قال بطريقة المعتصبة العروف عن التفتخر

«سكرتارية المؤتمر . فقلوا لي إن البروفيسور
(إسماعيل) في فندق (دلفتشي) . »

ويؤيد المزيد من التحقيقات وعشرات المعاملة ؛
قال .

« هناك مطعم اسمه (سويهر) قرب
الفسق .. هل تعرفه ؟ »

« نعم . »

« إذن فلنلتق هناك بعد ساعة . »

ولهذا تجدونني جالسا على ركني في هذا المطعم ،
هنا في القميين طبعاً ، نشرب الشاي المر من
سلطانية خزفية صغيرة .. تجلس أمامي مضطجعة
بهاتين ترتديان (الكمونو) وتنتظران لولمي
لست من هؤلاء الذين يجنون راحتهم
أو يستطيرون لي يأكلوا بينما هناك من يراقبهم .
إن الطعام ينزل باسم في جوفى وقتها ، لكنها
التقاليد البلاطية التي لا تتزعزع

أخيراً جاء (هن - تشو - كان) في موعده

كان قد تغير كثيراً . من الصبي الذي نخصبه كاهناً
من (التبت) من القرن السادس عشر لو ظلت
رأسي . إنه يرتدي بذلة أنيقة ويضع عوينات
بلا إطار ، ويحمل حقيبة أوراق صغيرة . كل شيء
يوحى برجل أعمال من (هونغ كونج) جاء ليحرق
سلطة ما هنا . إن الاسويين يتسلمون بالنسبة
لنا مضر العرب ، لكن لو كان لك أن منظر (هن -
تشو - كان) كان يختلف تمامًا عن كل يهتلي
هنا الجميع يعرف أنه صيني مثلاً تميز عيونهم
الفيتنسي من الكوري من الكمبودي .. ولا أرى كيف .

« (ريلالاث) لقد تغيرت كثيراً ! »

وشفت بعض الشاي الكريه ، وقت في ملل :

« نعم . نعم . تولدت قبحاً وشيخوخة .. »

هذا ما يقوله كل من يرتدي بعد ققطاع أسبوعين ..
ماذا تفعل هنا ؟ »

- «جه (البيرنيس) ثمة امور كلفتني إياها
الحكومة الصينية»

وجاء لنخل فوضع أمامها عشرات الأكواب
قملأى بالسوائل الحمراء والخضراء والزرقاء ،
والأرز المعجون ، والسمك النقي ثم أعطوا
كلاما عسويين على سهول التعذيب
قال (هن - تشو - كان) وهو يتناول أحد
الأكواب الحمراء .

- « صباء أم الخلول ' هذا يوم سعيد »

- « صباء أم الخلول .. ١٢ »

ونقصت أحشائي ، كعدائتي منذ جئت إلى
اليابان

وهذا رحت أصغي إليه وهو يتكلم - بدرجة كعفته -
ويحكى لي أحداث حياته في الاتوام السابقة



كان قد حضر كثير من المصورين معه كانت من
(النساء) من المعروف السادس عشر من طلب رايي

لم يكن هناك الكثير - كما قلنا - لقد عشت صموداً
مبعزلاً نقيباً عن الحياة الاجتماعية .. مارس
تمويلت (الانفraz) بانتظام ، وقرأ كثيراً في كتب
(شوكرا) ، وارتحل إلى (البيت) مرتين أو ثلاثاً
بحثاً عن مزيد من آثار (الانفraz)

طبعاً لم أومن من طعمس إلا بعض الأعواد
الخصراء ، أما هو فكل بشهية من ثم ينق حساء
أم الخلول من قبل ..

لاحظت إحدى اللغتين كثير أن أومن طعمس كما
هو واضح ، فكنمت لي مشقة مبتلة كي أسمع
أناطس ، ثم اتحت والتمعت أستاذها ، وتراجعت
إلى الوراء على ركبتيها تكروني أن أجد زوجة
بالتوبة لو تصح الوقت ، فمن الواضح كهن
زوجات مثليات ..

ساد الصمت قليلاً ، ثم تباطأت سرعة (هن -

تسو - كن) في المصغ فكرت أنه يفكر في
عمق ..

قال لي وهو يفتش عن شيء في جيب سترته :
« (ريفات) أنا مسرور للغاية لكوني قبلتك
وأين ؟ في هذا الركن من العالم . كنت بحاجة
إلى من أتق به كما تعلم .. »
« أظهم .. أظهم .. »

أخرج مقسروفاً كبيراً مغلفاً بإحكام ،
وقال لي :

« خذ هذا ولا تفتحه .. لا تفتحه إلا إذا لم
تصل بك خلال أسبوع أنا أعرف أنك مؤتمن »
والحقيقة ليست كوني مؤتمناً ، بل كوني غير
مهتم على الإطلاق بأسرار هذا الفتى لو شاء
أن يقولها فليقلها ، لكنني لن أجهد ذهني لحظة
ولعدة في التنقيب عنها .

« هل هو أمر خطير ؟ »

« ربما نعم وربما لا . متعرف على شيء
خلال أسبوع .. »

ونظر حوله في حذر ، وواصل اتهام السمك
التي هي بصويبه

سألته في حذر مماثل :

« إلى أين أنت ذاهب بالضبط ؟ »

« إلى أحد معبد (الشنتو) في ضواحي
المدينة^(*) ثمة شيء أبحث عنه ، فلو وجدته
لأنتهى الأمر لكني أمل ألا أجده »

ثم بحث عن تعبير مناسب لثقافته (التبتية)
فقال :

(*) (شنتو) هي الديانة التقليدية في اليابان . ديانة عبادة
الشمس وتقليد الإمبراطور . فتح فيما بعد خلف الديانة وصر
لكن ياباني يمان مكا !

« أن يتسلل القنبر إلى دارك هذا خطر
لكن عثورك عليه لن يقتل الخطر ! »

حاولت فهم هذا التعبير الشعري فلم أستطع
سألته :

« هل أنت ذاهب للبحث عن نمر في
ذلك المعبد ؟ »

« ربما لكني لا أمل أن أجده ! »

وأشار للفتاة فهرعت إليه بالمشقة المبهلة
أيها جفف شففيه ثم بهض قتلاً .

« وداع أيها الصديق . ستصل بك ،
وإلا فلا تمن المظروب الذي منك »

وخرج من المطعم يبحث عن حذائه

* * *

٣- ذيل الثمر ..

طبعاً مر الأسبوع ولم يتصل بي (هن -
تشو - كان) ..

ظننت هذا مذهباً للغرائ ، وإلا ما وجدت
القصة فضلاً ..

وهكذا جاء اليوم الذي بحثت فيه في جيب
سترتي حتى وجدت المظروف إياد ، وقدرت أن
أفتحها . لست - كما قلت - مهتماً بالأمر ، لكنني
لعب أن أكره بوعودي هذه من مرابي القليلة ،
أو لعلها ميزتي للوحيدة اليتيمة .

* * *

كان الخطاب بـ (جلايرية رديئة جداً ، كالتي

تقرأها اليوم في نشرات الأجهزة الإلكترونية
المصنوعة في الصين .. يقول الكاهن الأخير

- « عزيزي (رفعت) :

« آسف لإحلك في هذا كله . ولما أعرف أنك
صفت نزعاً بمشكلكي : لكني لا أعرف شخصاً آخر
أهلاً للنقطة في (هونشو) »

« حين تقرأ هذا الخطاب ، ستكون طاباً في خطر
داهم . عليك أن تستقل سيارة أجرة إلى العنوان
التالي () وتسل عن (تلكجي-سان) .
لوفيلته إحد له قصتي ، وإن لم تجده عليك
أن تكتب القصة كلها وترسلها إلى ()

« ليست للمهمة شائقة كما ترى ، وبهذا
يمكنك أن تواصل الاستمتاع بمساحتك هنا

بإخلاص : هن - تشو »

(*) تلعب (طوكيو) في جزيرة (هونشو) وهذه الجزيرة
تضم أهم المدن اليابانية حفاً

كان الخطاب غامضاً ، وله ذلك الطابع السامى
الذى يذكرنى بقصص التنجس - ترى ما الذى
يحاول الفتى أن يورطنى فيه بالضبط ؟ ما بخلنا
بعلاقات الصينيين واليهوديين المتشبكة المنيعة
بالشك وسوء النية ؟ إن الكراهية بين الشعبين
عميقة الجذور منذ بدايت هذا القرن ، وقد
ازدادت سوءاً بعد الحرب العالمية الأخيرة

ترى ما الذى نلظه بالضبط يا (من - تشو - كى) ؟

* * *

ولكن لم تكن لى حيلة ما

فى ثمانية مساء ركبت سيارة لجرة ، وبصورية
بالغة نجحت لى أن أشرح للمائق وجهتى إليهم
لا يقبلون الكلام بالإنجليزية ويتظاهرون بعدم الفهم ،
ثم إن نطقهم للحروف يختلف عن نطقنا تماماً .
أصف لهذا أن شوارع (طوكيو) بلا اسم ؟ نعم .

نقد ظلت هكذا طويلاً حتى جاء الأمريكيون وأطلقوا
عليها ألقاباً لكن الباحثين ظنوا يسمون الشوارع
بأسماء على غرار (الشارع لى فى أوله المطعم
وأخره المقعد) وهى - كما ترى - ليست بالطريقة
المنطقية التى تنفذ السطح من الصباغ !

أخيراً وجدت العنوان المقصود

كان بيتا يابانياً تقليدياً من طابق واحد ، على
بابه فتوس جميل مزخرف يضر المنخل بالوان
لا يأس بها الجدران خشبية كالعادة ، وذلك
الطابع العام من (الهشاشة) الجديرة بشعب
اعتاد الرلازل وصارت جزءاً من حياته

نقلت الجرس ففتحت لى الباب عجوز مبهمة
يبدو أنها شبه كفيفة كذلك ، فقلت ضاعطاً على
مقاطع كلمتى :

« (تكرجى - سنان) ! »

أصبحت لي المجال كي أدخل ، فزعت خذالي ،
 وسمعت قلمي في قهقبا زلق موصوع هناك ،
 ودخلت إلى غرفة صغيرة لها جدران من الورق
 المزخرف .. وكان هناك موائد صغير مما يصل
 بالفحم - يسمونه (هيشي) - وضع عليه برء
 شاي ، وثلة منضدة صغيرة على الأرض فوق
 حصيرة ركعت على ركبتي وجلست أنتظر في
 جو صامت مريب ..

لو كان هذا غيما سينمليا لفسوف يبرز لي
 الآن عشرة من لاعبي الكرتيه المحترفين ،
 ويحطونني علة لم أر مثلها قط . لصن الحظ لي
 هذا ليس غيما سينمليا . لو قدغ الله (تعالى)
 ألا يكون كذلك ..

بعد دقائق برز لي (توكوجي - سبي)
 كن يلقب كما اعتدنا أن تتحول القلابين حقا

قصير القامة أصفر اللون هزلا . له
 لسان لرنب تبرز من فوق شفته السفلى ،
 وعيونات غليظة توحى بالبلافة ، وكان يحنس
 في تلق ويقلقه دون داع .. وكان يرتدي ثوبا
 غريبة قبة إلى حذ ما .

قلت له بالإنجليزية داعيا الله أن يلهما :

- « لنا صديق ل (هن - تلو - كن) . »

هز رأسه في ذكاء ، وقلعت استاته :

- « آه آه ! سونمكا ! »

وهو ما يساوي عندنا قوله (هكذا إن ٢)

قلت له :

- « قل لي إن على الاتصال بك لو تقطعت

أخباره أكثر من أسبوع . »

تردعت لتصلته بشرقا :

.. « آه آه ! سويسكا ! »

.. « قال لي على لو وجدتك أن أقفل لك هذه القصة . وفحق قننى لا أفرى ما هي بالضبط .. »

.. « آه آه ! سويسكا ! هاها ! »

.. « لا أعرف سوى أنه كان ذاهبا فى مهمة فى معهد ما .. كمن يبحث عن نمر يأكل الأبقار .. »

.. « آه ! سويسكا ! »

أخيرا تكلم بعد ما بدأت أقصاها عن كونه بجيد إجسرية ، لو بجيد الكلام أسلما .
قال بصوت غليظ خارج من معدته

.. « الواقع يا سيد .. »

.. « (رفعت إسماعيل) »

.. « الواقع يا سيد (إسماعيل) أن لدى (هن - تشو - كى) سنان من الأساليب ما يحطه لا يرغب

فى أن يشاهد معى ، لو يعرف أنه جاء دبرى ديك من أنه يخشى أن يكون هتلقى مراقبا . إنه يبلغ طبعا لأنه لا هتقف لدى أصلا . لهذا أشكرك على هذه الرسالة ، ونموت يكون من دواعى سرورى البالغة أن تشرف شخصى للمواضيع برسارة ثقية فى مثل هذا الموعد غدا ثمة بعض أشياء أرغب فى أن أعطيك إيها . »

وصب لي بعض الشاي الأخضر العرلى شىء يشبه المبهضقة ، ولولنى إياه كما قدم لى طبقا علينا بـ (الكاجو) ..

قلت له وأنا أضع وتلمظ :

.. « الحظيفة هي أنتى لا أعرف على الإطلاق ما يدور هنا ، وكنت أفصل لو تركتمونى وشائى إن لم يكن فى هذا ضرر بالغ لأحد . »

تسعت لبتسامته أكثر فأكثر ، ولتلمعت نظرة

قاسية من وراء رجاج العريفت لتقليد وهو يقول :

« لأصنف يا سيدي .. إن الإمضاء بنيل القنمر
قد يكون سهلاً ، لكن تركه مسألة أخرى ! »

يا للقنمر ! منذ جئت إلى الرياض وأنا لا أسمع
إلا عن القنمر .. لكن هذا المثل صيني على كل
حال ، ومعاها قريب من (دخول الصنم ليس
كخروج منه) ..

كنت أقول له إنني غير ملتزم بشيء ، لكني أحججت
إن لي التزامي نحو (هن - تشو - كان) على كل
حال . وهو قلها لو لم يتصل خلال أسبوع فهو
في مأزق وأنا لن أتركه صديقاً في مأزق

وهكذا غفرت البيت مبهل الأفكار . كنت الأمطار
تلهم في خفة باعثة نوعاً من البرد المصعب في
أوصالك . وقررت أن أُنشئ قبلاً قبل أن أستوقف
سيارة أجرة .. فأبحاجة إلى ترتيب أفكارى .

هواء الليل المتعش المنصول . أمطار في
أصطس ؟ إن ألقهم جو هذه الجزر أبداً . (هن -
تشو - كان) في مأزق .. الحل في يد (تليجي)
لو - على الأقل - يجب أن يعرف .. (تليجي) يريد
إعطاني أشياء معينة فما هي ؟

والها من لفتز الكنى سائل ما يطلب مني على
كل حال .. إن أكثر من الأسئلة ولكني بهمسطة
سأهب نور المعاي . المعاي الذي لا يسل كثيراً

* * *

نيل القنمر في يدي . فكيف أتركه ؟

* * *

في الثامنة من مساء اليوم التالي ، وبعد ما
لغلاً رئيسي بثرثرة المؤتمر حتى صارت أية
حركة لي تسكب الحروف من أنفسي ؛ نزلت من
سيارة الأجرة ونقذت المعلق الانتحري لأجره .

كان عجوزاً، ومن المؤكد أنه - ككل سائق
التاكسي في (طوكيو) - كل من (الكاميكازي)
لذلك الانتحاريين الذين كانوا يركبون الطوربيد
ويهدفون به نحو المنعمرات الأمريكية كل
هؤلاء صاروا بعد الحرب سائقى تاكسي، لكنهم
لم يتخووا عن عادة قتل الزبائن

وقلت على الباب وقرعت الجرس

لا إجابة لم نك العجوز بعد قرعت من
جديد بلا جواب ..

الباب مفتوح .. هل تدخل ؟

طبعاً دخلت وفي هذه المرة فطعتها بحذائي
لأننى شعرت بكنى بحاجة إلى خفة الحركة لسبب
لاأكرهه ..

كانت المتضدة إياها والموقد إياه، والتصيرة ..
كل هذه الأشياء كانت موجودة .. لكن الجدران

الورقية كانت ممزقة في أكثر من موضع ،
وكانت هناك آثار قوسى لا بأس بها لهذا ..

غريب هذا !

أقسم إن هذا المكان شهد معركة عنيفة نوعاً

واصلت البحث ، وبصوت متردد تكلمت

- « تاكسي - سنان » -

لم يكن من ربة ..

وبدأ قلبى يخلق متصارعا .. شئ ما

على غير ما يرأى .. شئ ما خطأ ..

ولخيراً وجدته .. كان واقفاً على ظهره ، وقد

سقطت العريشات مهشمة على بعد مستيعمرات

منه .. كان ميتاً طبفاً عرفت هذا من عينيه

المحملتين الخاليتين من التعبير ومن الجرح

البارز فى عقه ..

نحن في اليابان بلد (المشغوراي) و(النينجا)
و (الرونيمن) .. فمن سمع عن شخص يقتل
بطريقة أخرى غير السيف ١٢

وعلى بعد أمتار وجدت العجوز ، ولم تكن أفضل
حالة ..

هذا كمين . بالتأكيد هو كمين

وقد دخلت المصيدة بحماقتي المعتادة



وأخيراً وجدتته . كان واقفا على ظهره ، وقد سقطت
العويان مبهثمة على بعد متجترات منه

٤- كمين ..

أين القراص (القنبروجنميرين) ؟

إن قلبي موشك على ..

* * *

أخيراً بدأ الألم يزول من صدري ، وبدأ الصداق
وقدوار يزول من رأسي ، وهما دية (قنبروجنميرين)
لمن يحميه تحت لسانه ، لو قل إنها ضريبة
التجاء من الهم الدبحة ..

يجب أن أخرج من هنا حالاً يجب

وغلغلت الدار مسرعاً ، ومن بعيد لمحت ضوء
سيارة لجرة قلشرت لها ، ووثبت دخلتها قبل أن
تتوقف تماماً . قلت للسائق شيئاً عن حى
(أسكا) ونظرت للوراء .

حقاً لم أخطئ كثيراً بالإسراع . هناك خيال
(سلويت) ثلاثة أشخاص يقفون فى ضوء الدور ،
ويبدو أنهم كتوا يحلونون للحاق بي لولا ظهور
سيارة الأجرة من حيث لم يحتسبوا

هل هم المكلفون بنبحى لم المكلفون بتهامس
بنبح (تكلمجى) والعجوز !

بالطبع الأمور دائماً هكذا وليس تخيل
الأمر عسيراً ..

لما لا أعرف بالتحديد ما يدور من حولي ،
وهكذا فإن هناك احتمالين لا أكثر . محاولة قتل
أو محاولة توريطي ..

ولماذا ؟ لأننى أعرف أكثر مما يجب ، أو لأن
ماكان (تكلمجى) مبعطيه لى شديد الأهمية أكثر
مما يجب ..

لقد صارت هذه الأمور محفوظة من قسوتها ،
ولم يعد شيء قلداً على إثارة دهشتي .

* * *

دخلت طرقتي في الفندق ، فزعت ثيابي وركعت
على الفراش ، وضعت جهاز التلفزيون .. كانت
مذبة حسناء تتحدث عن شيء ما ، ومن لمها
تخرج مثل النقوش بالحبر قشيشي ، لكني لم تكن
معه . وبالطبع لو ركزت لما فهمت شيئاً
يجب أن اغادر البيان سريعاً .

لا أعرف إن كان هناك من يلاحقني أم لا ..
إن كان هناك من يعرفني أم لا . لكن فهو كله
مريب يئز بالخطر ، ورواح الفئران تقعم كل
شيء كما يقول الإنجليز ..

إن (هن - تشو - كان) لم يتصل بي ، ومن
الواضح أنه لن يفعل . أفهم ما حدث ؟ ولماذا
أفهمه ؟ كم من الأسرار تملأ الحياة بدءاً من

أهرام الجيزة وفتهاه بمقتل (كندي) .. ما الذي
موضيقه لقر جديد ؟ إن تغزو الحياة أكثر تعقيداً

لم ينته المؤتمر بعد ، لكنني على كل حال ألفت
كلمتي القصيرة فيه . فلم يعد أحد يطلبن بشيء
آخر ..

وهكذا بدأت حزم حقائبي ، ثم طلبت مكتب
الاستقبال في الفندق وأخبرت الموظف أنني أعترم
فرحيل غذا . فليجد لي تذكرة على أول طائرة
ترحل غذا ..

لنسى لمقت لهواء الصلوات والمؤامرات هذه .
لقد اعتدت أن يجرى الخطر من عقم آخر .. علم
ليست له مقاييسنا المعية .. علم بمنحن أفراد
النساء ، أو بجوارن بين المقابر ايلاً ، أو بغيره
الجنون .. هذا هو الخطر الذي أشعر بالراحة
معه ، وربما بعض الحنين .. لكن أساليب

الحصيات هذه لا تمسني حتماً . وبقى لوجد فيها
بعض السوقية والابتذال
هذا بل جرس الهف ..

* * *

« من ؟ »

« د (سماعيل) أرجو أن تمعني ساعة
من وقتك .. »

كل هذا صوتاً رخيماً ثلثت به تحدث بـ (جنوبية)
بهاذية الطابع لا شك فيها سألته :

« من أنت ؟ »

« الأسماء لا تهم . نوقت بقى (يلقوا)
أو (سكامورا) فما جدوى ذلك لك ؟ »

كلام سليم منطقي . ولما نحب الأوغاد المنطقيين

قال لي :

« هل يمكنك التواجد في شارع (جقزا)
بعد نصف ساعة ؟ يوجد محل علبات شوبر
باسم (سكامورا) هناك ألتك على
قالب ..

« هذا مفر لك ثم تعطيني سبباً واحداً
بمعنى أني شوقاً على ألتك هناك . »

« إن الأمر يتعلق بصديقك الصبي وبشيء
وجنته عدد من يدعى (تلكيجي) هل صار
كلامي ذا معنى لك ؟ ! »

« صارك هناك »

ووضعت السماعة شاعراً بالتسخط طبعاً
سأله . من أنا كي لا ألق ؟

لقد عرف القوعد كيف يثير حملي الذي حصته
لا يتار ..

وهكذا - بعد ثلاثين دقيقة بالتمام - كنت أخترق

الزحام في شارع (جقزا) ، ولتقوم ذحول الأصواء
 بالمفرطة ذلك الذحول الذي يحقيه كل قصير
 النظر ، ويمكن فهم ما أعنيه لو عرفت أن شارع
 (جقزا) هو شارع لتجاري الأهم في (طوكيو) ..
 مثله مثل شوارع (سليمان باشا) و (٢٦ يوليو)
 طرنا في القاهرة ..

كن هناك محل (سالكورا) إياه ، وقد كتب
 اسمه بحروف مضيئة لا تكف عن التوهج
 الحق أنه من الصبر أن تخطئه

وقلت على الباب منتظراً الوصول ذا الزهرة
 الحمراء ، أو الذي يحمل رغيفاً صلاتاً على عدة
 القصص ، فألا أعرفه لكن من الواضح أنه يعرفني
 جيداً ..

ولم يطل فتتظري كثيراً ، لأنني وجنته ينفو مني
 كل ضيقاً في منتصف العمر ، بدأ يلفد الشعر في
 مقدمة رأسه ، ويرتدي قميصاً مشجراً لا يتناسبه .

حينئذ في تهنيت بهزة رأس ، ثم قتل :

.. د . (إسماعيل) . اعتقد أننا سنكون أكثر
 راحة لو ابتعدنا عن هذا الزحام .. »

وبدون كلمة أخرى راح يمشي طريقه وسط الناس ،
 علماً أنني بالتكيد لمشي خلفه .. كان حجمه كافياً
 لإحداث فجوة في الجماهير .. فجوة سمحت لشخص
 في حملي بأن يتمرب منها

كان مشولاً طويلاً بحق ، عبر عشرات الممرات
 الجاذبية ، والأزقة الأنيقة ، التي لدعواها لزفة
 لا تساعدها فقط لا لدايتها ..

أخيراً ها نحن ذلن نقف في ذلك الزقاق العظيم
 الخالي من البشر .. حيث تتصارع قطتان على
 صندوق قمامة ..

قلت له لا هنا بعد كل هذا لمشي الذي لم أعتده

« والآن اعتقد أنني سأكون شيئاً ما .. »

نظر لي . وهذه المرة كان يصحك . يصحك في صمت لكنها ضحكة وحشية لم أسترح لها كثيراً
إن الضوء الخافت يسبق على ملامحه شيطانية
لامراء فيها ..

قال شيئاً ما باليهاتية . لم أفهمه طبعاً ،
لكنه كان يحمل لي رسالة بلطفة جداً . إنما أصفا
وحننا في هذا الزقاق

وبظرت حولي بالذات نوراء فوجدت

كان هناك بلطجيس يلهيهم بلطجيان من
الطراز الذي لا تصدق وجوده ما لم تراه . وكل
كلاهما يحمل خنجرًا برافًا لثبه يسونكي البندقية .
ويوجه نحوي في نوبة .

الملتقى في الموضوع هو أنه لم يكن في الجوى
ما يوحى بالتهديد ! هؤلاء القوم لا يريدون شيئاً
منى . لا يريدون سوى قتلى !

صمت وأنا أراجع للوراء :

« لحظة ! كن تمسكتني عن معلومات ما ؟ »

ابتسم اليائس الأول في صرخة ، وهز رأسه
نفاقاً .. فعماعلت :

« .. هل تريدون سرقتي ؟ إن معي بعض

العمل الذي .. »

هز رأسه من جديد نفاقاً ، وأشار للرجلين بمعنى
فلننته سريعاً من هذا كله . وتراجع للوراء كي
لا يلوث ثيابه .

وتذكرت ذلك المشهد الخالد من فيلم (الإصبع
الذهبي) . قد فكره أفلام (بوند) لكن هذا المشهد
لا يتسم بسهولة (بوند) عقيد وشعاع الليل
يوشك على تمزيق جسده إلى نصفين . يصبح
(بوند) في الإصبع الذهبي : « لحظة ! سلككم !
كنت تتوقع مني أن أتكلم ؟ » هنا يقول الإصبع

الذهبي في ملل : « بالعكس يا ماستر (بوند) .
توقع منك أن تموت ! »

هنا - بينما أقرب الباطنيين إلى بحركه خنجره
في الهواء - سمعت صوتاً محبوباً للنفس ..

* * *

من أين جاء (هن - تشو - كلن) ؟

من أين ظهر بيني وبين الرجلين ؟

لا أدرى ولا يهمني أن أدرى . كل ما يهمني
هو أنني نجوت . بالتأكيد نجوت . ومن
جديد أسمع الإذنين الخالد الذي لم أسمع من
دهر ..

« تشيسرايكا ! »

قالتا وهو يباعد ما بين سابقه .

« جوتاغ سارايكا ! »

قالتا وهو يفتح ذراعيه المشدولتين المتوترتين ،
ويباعد أمانه كالمروحة .

يتبادل الباطنيان النظرات أمام عرض الحواة
هذا . غير عاقلين أن هذه آخر فرصة لهما
للنجاة لو أرفقا الحياة .. لكن كل اثنين غيرة
كثيفة . يلوحان بالخنجرين ويتكلمان أكثر

هنا ينتقل (هن - تشو - كلن) إلى التحذير الثالث
والأخير :

« « كيوه سارايكا ! »

يقولها وهو يرجع رأسه للوراء بحسبهم في
قوس ..

مشكلة هؤلاء الحمقى هي أنهم يجهلون لغة
رهبان (القبت) القديمة ، ويجهلون أن الكاهن
الأخير أقرهم (احترسوا من السرايكا - سأبدأ
السرايكا - إليكم بالسرايكا) . ويعدّها انطلاقي ..

تطلق كالله الذي يمزق مجموعة من الأطفال ،
أو لقط الذي وجد طعمه في جحر قرآن . أو

إن أصف المشهد لأنه تم بسرعة على كل
حال ، وعلى الصوم لنا قد كلفت عن الانبهار
بالمعارك التي يهزم فيها الكاهن الأخير لقل من
عشرة أشخاص ..

في النهاية رافد الأوغد الثلاثة يذرفون ، وسعيد
الحظ فيهم يذرفون ها يصيح لفتى صيحته التقليدية
« سون هتشاه سارايقا ! »

ثم يجلبني من يدي لتبتعد عن هذه العبدية .

* * *

وفي غرفة الفندق رحت أنظف له جراحه ..
لم تكن جراح هذه المعركة طبعاً ، لكنها جراح
معركة سابقة لهذا .. جراح قطعية على خده وأعلى
صدره وفي ساعده الأيسر

كان مرهقاً لكنه متحفظ كالنمر ، تشط كبحوصة ..
أخيراً سألته وأتأجس على حافة الفرائش :
« أعتقد أن بعض التفسيرات من حلي . »

قال وهو يرتدي قميصه

« لمة تفسيرات ؟ الأمور واضحة تماماً »

« يا سلام ؟؟ جئتكم في دار بابائية ، وقتلة
يحاولون نهي ، وكنت جريح . و إن الوضع
يكاد يخفقني .. »

شاعت لهتسة في تقاطيع وجهه الصلب ، وهي
شيء نادر لدى (هن - تشو - كان) خاصة وهو
لا يلهم الدعايات أصلاً . إن الصينيين دالمو
لفقهية لكن بالتمسك لهذا الفتى كان أقصى مرج
ممكناً هو رفع الحاجبين .

قال وهو يزرر قميصه :

- « أنت على حق .. لا بد من بعض
الإصلاحات .. »

- « إن الأمر يتعلق بـ .. »

ولإراح المستر ليرى ما وراءه ، وأردف

- « شيء شديد الأهمية ، شديد الأهمية
لله ... »

وجثا على ركبتيه ليتلخص ما تحت الفراش

- « . للصينيين إن مهمتى فى الحقيقة نوع
من عمليات المخابرات و . »

وتلخص المصباح جوار فراشى ، ثم رفع يده
فى الهواء لأرى ما يحمله ..

كان جهازاً صغيراً لم يصعب لى إعرف ما هو ..

إنه ميكروفون لىرقى مدموس هناك بفرض
الاتصالات طبعاً ..

* * *

قال وهو يضع الشيء على المنضدة

- « ربما كان من الخير أن نواصل كلامى فى
الهواء الطلق .. »

٥- أسطورة رجل بكين ..

« جهاز نقصت ؟ وحبوه في المصباح ؟ لن
يحترعوا أبدا مكانا خيرا من هذا ؟ دائما نفس
المكان »

« لا تنس أنك لست رجل مخبرات ، ولا تتوقع
وجود شيء كهذا لو ردت رأيت لقلت إن هذا
للمكان صالح تمام لمن لا يتوقع شرا »

كنا نجول في حديقة صغيرة من الحدائق المحيطة
بـ (طوكيو) ، ولم يكن هناك ما يربط الممكنات
تماما نكن مصواء المصاييح لا نترك ركنا مظلما
فيه ..

قال (هن - تشو - كن) وهو يواصل المشي

« هل تعرف شيئا عن رجل بكين ؟ »

« لا أعرف . أعقد أنه ذو أهمية
لثروبولوجية ما ؛ مثله مثل قسطنطين (بياندرثال)
وسواه . (هومو سابندر) و (هومو إيريكسانس)
وكل هذه المصطلحات »

قال وهو ينظر حوله في جنر

« في القرن الماضي كفت لسان التين تلاقى
رواجا هائلا في الصين . إن العطريين يبيعونها
مطحونة لشفاء أكثر الأمراض . طبعا كانوا
يرغمون أنها أسنان تنين ، لكن الحقيقة أنها
كفت أجزاء من عظم جندوبي متآثرة هنا وهناك ،
ولم يحاولوا قط أن يعرفوا مصدرها »

« في العام ١٩٢٠ رجبى الجيولوجى السويدى
(أندرسون) إلى الصين إلى (بكين) بالذات
بحثا عن ثروات معدنية »

« بدأ العمل في موضع اسمه (تشوكوتيان)
 قرب (بكين) ، وقد وجد كثيرا من هذه الأسنان
 التي بنت له مختلفة عن أية أسنان يعرفها .
 لكنه لم يكن معن يفهمون هذه الأمور جيدا ،
 ولم يعرفها كثير اهتمام

« كن مما لفت نظره كذلك ، تلك الكهوف في
 الحجر الجيري كهوف عتيقة من الواضح أن
 هناك بقايا عظام مدفونة فيها

« كانت الكهوف مربية بحق ثمة عظام مهشمة
 بطرق غريبة جداً كان وحشا عظامها هشما
 ثمة أوت من حجر الكولتر ، وهو حجر لا يوجد
 في الكهوف الجيرية ما لم يتم هذا بفعل لفاعل

« للنتيجة المنطقية هي أن هذه الكهوف كانت
 تحوى بشرا بشرا من زمن بعيد صحيح ، قبل
 أن يستقر جنودى في جبال التبت ، وقبل أن يعرف
 الصينيون أنهم صينيون »

قلت له في استمراع :

« لقد صرت بليغا أيتها الزهرة الزرقاء .
 ترى أنك تعلمت في علم اليوم بسهولة بالغة »
 لم يطق ، ولم يفهم إن كان هذا مديحا لم
 دعاية ، وقال :

« كتب (أندرسن) خلاصة ما وجده إلى رجل
 صناعة سويدي ثرى يدعى (إيلار كروجر)
 وكان هذا الأخير يملك عمل والنقود ، فأرسل إلى
 الصين رجلاً يفهم في هذه الأمور هو د . (أوتو
 زدنسكى) ..

« وكان ما وجده (زدنسكى) مثيراً لقد كانت
 تلك العظام أدمية ، وكان بينها تلك الأسنان التي
 كان قاطرون يبيعونها على أنها أسنان تنين .. »
 تكلمت لصحتى وقت .

« بن كس الصينيون يأكلون أسنان الموتى
المطبوخة طلب للعلاج ، وهم يصبونها أسنان
تتين ؟ »

« لا فرق هناك يا (ريفت) . إن الكالسيوم
هو الكالسيوم .. »

« ما زلت أجد الفكرة مقرزة »

دعني بلأمنه بعض الزهور التي لا أعرف
اسمها . إن زهور البابائين ممطرة مزخرفة
ككل ما هو بهائي ، وقال

« مرعيت ما جاء علماء (الأنثروبولوجي)
من كل أرجاء الأرض ليقبوا هي (بكين) أغنى
في (تشوكوتيا) بلدات لم يتركوا حجرا على
حجر . ويطبقوا على هذه العظام التي وجدوها
اسم (إسمان بكين) .. »

« علم ١٩٢٨ عثر الدكتور (س . باي) على
قطع بحري من فك وجمجمة ذلك الكائن

واستطاع أن يكون خلفية لا بأس بها عن حياة
ذلك المخلوق العتيق »

سألت (هن - تشو - كن) ولما أشر بقحيرة
« قصة لا بأس بها . لكن ما نعلم بما يحدث
لنا ؟ »

قال وهو يقدم رنتيه بهواء الليل :
« صبرا . إنك عجول كطفل اسم قطعة من
الفت المسكر »

« لفت مسكر ؟ كذا ؟ »

« سأحكى لك كل شيء »

« في عام ١٩٣٧ كان الصينيون قد نظموا
كثير عن التنقيب في هذه البقعة من بلادهم ، ولم
كن معهم خبير أمريكي يدعى (مارك بولسون)
يبدو أنه كان الكمل في الكمل في تلك العنات

« هنا غزت اليابان الصين ، وبدأ خطر اليابانيين
يتهدد عمليات التنقيب هذه . هب وحشد شتى »
غريب

« تصل في الظلام فرقاطة أمريكية اسمها
(بيليت) ، وفي سرية تامة يتم نقل عدد من
الصنائيق إليها ..

« ماذا كان في تلك الصنائيق ؟ لا أحد يعرف
الصينيون لم يعرفوا إلا أنها حفریات مهمة يجب
الهروب بها إلى أمريكا ، لأنها لا يجب أن تقع في
يدي اليابانيين ..

« وبعد خمسة أيام اختفى البروفسور (دولسون)
تماما الوحيد الذي كان يعرف الحقيقة كلها
أين ذهب ؟ متى ذهب ؟ لا أحد يعرف »

قلت له وقد بدلت أهتم بالأمر

« لحظة .. معنى هذا أن تلك الصنائيق لدى
الولايات المتحدة ؟ »

« لا . لقد كان حظ الأمريكيين عثرا ، ونشبت
الحرب مع اليابان بعد يومين من وضع الصنائيق
عليها . أسرهم اليابانيون في وسط المحيط الهادئ
واستولوا على الصنائيق ، ومن يومها لم يرها
ولم يسمع بها أحد . وقد توفى أكثر هؤلاء
الأمريكيين بالبحار الأعمى والملايا في معتقلات
اليابانيين بكاليفنيا . لكن (ثوربولد) قائد الفرقاطة
قتل حيا ، وحكى القصة لبعض الصحفيين منذ
علم كم أثر بها في بدايات الستينات »

« وصممت الحكومة الصينية على »

شاعت لمصلحة في تقاطيع وجهه القمسي .
وقال :

« نعم . في هذا التراث ملك للشعب الصيني
ولا بد من استرداده بأي ثمن . في تقدير خبراتهم
الأثروبولوجيين أن هذه القبائل لا يمكن تسميتها

إنها أتمن مما لو كانت من الذهب والبلاتين
بمراحل والصين مصرة على استرداد هذا
الكنز.. ولسوف تفعل «

وصف نهاية المعنى ، فسكرنا عشرين وقت :

« ماذا عن الدبلوماسية ؟ »

« الليبتيون يكرهون أي وجود لتلك الصناديق ،
ويؤكدون أن الفرقة كانت خالية عند أسرها »

« وهذا أرسلك للصينيين إلى هنا ؟ »

« بالصبط مهمتي كانت هي البحث عن
بداية خط بلوئني إلى تلك الصناديق ولم أكن
وحدى كان هناك عيب بلوئني هو (تليجي -
سان) ومعها شبكته التي يمولها الصينيون «
وبداً يعد على قاعله :

« أولاً كانت لدينا مطبوعات الأمريكية
(نورنويلد) ثانياً كل عندنا فقد قيمتي

واسمه (ميتسو جويك) . ثانياً كان عندما عالم
أمريكي مختلف اسمه (بونفلسون) ثلاثة خطوط
يمكن البدء بها ويطلق بحث (تليجي) ورجله
عن الثاني لا أثر له والثالث لا أثر له

« يبدو - وهذا هو الاحتمال الأرجح - أن
(ميتسو جويك) قرر الاحتفاظ بالصناديق لنفسه ،
ولم يبلغ عنها أو أبلغ عن بعضها لقد قبل
عصاوبا جنوداً يابانيين فموا بنقل بعض
الصناديق في سيارة معطاة إلى معبد من معبد
(تشينزو) خارج (طوكيو) . لكنهم لا يتكروون
شيئاً عن أين أخذوها الأمر بعد كل شيء
يتحدث عن أمور وقعت منذ ثلاثين سنة «

« وهذا هو المعبد الذي ذهبت أنت لزيارته »

« نعم وتقلبوا على «

« نظفوا عليك أنت ؟ كيف ؟ هل استمتعوا
بالجيش ؟ »

- « لانكى طغلاً يا (ريفك) .. حتى (تغفراى) يمكن التظلم عليهم بسهولة . خاصة حين تهوى شبكة صيد من سقف فوقك ، وحين يفرس أحدهم حقة منومة فى ظهرك وانت تحاول التملص لقد كان هؤلاء القوم ينظروننى »

- « لكك استطعت الهرب هذا واضح »
هر رأسه فى ثقة وغمغم

- « إنهم حمقى حين يتظلم على كاهن (ناغراى) وتلقده ، فلا تستعمل الجبال وتترك خمسة رجال فقط لمرسته »
بدأت خيوط القصة تتضح لى

ثمة - بالناكيد - عصابة بابائية ما ترغب فى سبق للصينيين إلى تلك القبايا ، وهى تعرف كل شيء عن مهمة (هن - تشو - كان) وعن (تاكيجى) ثم عرفت كل شيء على حين زرت (تاكيجى) ..

سألته آخر سؤال عندي .

- « وكيف وجنتى لحظة الحصار الذى كاد ينهى امرى ؟ »

قطب جبينه وانتمعت فى عينيه تلك النظرة القبيمة :

- « كنت متجها للفندق حين شعرت بأنك قريب عرفت بأنها أنك قريب . لقد تشاربت روحنا لفترة لا بأس بها ، وما زال بوسمى أن أشم رائحة روحك على بعد أميال . »

- « تعبر شاعرى لكه أقرب إلى الحديث عن رائحة الجوارب لا الأرواح . إن الأرواح لا رائحة لها يا بى .. »

- « إن لها رائحة لكنها لا تشم بالأكوف ، ولكن تشم بأرواح دقيقة منها . لقد عرفت أنك قريب ، ويحسث كثيرا حتى وجدت مع تلك اليبقى تشقان فزعلم .. عرفت ما سيحدث . وعرفت كيف أنهه . »

كنا قد وصلنا من جديد لنهائية المعشى فى
الحديقة ، وبدأ الى لنا سلفى قليل حبة وذهابا
هناك ، فعرصت على الفنى أن تجلس فى أى
مقهى من هؤلاء المطردين لن يجنوا وقتا
لزراع أجهزة تنصت فى كل مدهى (طوكيو)
على كل حال ..

اخترت مقهى على الجانب الآخر من الشارع ،
وطلبت بعض الشاي الأخضر المر كقاعدة وكذا
فعل (هن - تشو - كان) لكل من حولت
بشرب الساكنى الساخن ، لكنى طبعها لا أقرب
الخمر وكذا الفنى ..

تذكرت سوا لا مهم آخر ، فقلت

- « ما الذى كان (تاكيجى) سيطلبه لى
فى موعدها ؟ »

- « لا أرى إن من فله لخذ شىء بالتأكيد »

- « ولماذا حاولوا الفنى ؟ ما داموا يعرفون
فنى لم آخذ شيئا .. »

- « ربما هم لا يعرفون مدى ما تعرفه
ولأسباب كهذه لموا جهاز تنصت فى حجرتك
لقد حاولوا معرفة حجم مطومستك ، ثم لزموا
التحضر منك على سبيل الاخذ بالأحوط »

قضيت بعض السكوت الجانب كانت له
نكهة كريبية (سمكية) بشكل ما ، وعرفت أنه
بالتأكيد يسكوت سمك كل شىء فى اليابان
يدخل فيه السمك ربما حتى العصير بلسمه
وصعت القطعة فى طبقها مشتمرا وسألت

- « (هن - تشو) ما رلت لا أفهم القيمة
الحقيقية لرجل (بكين) هذا إنه شخص ما
عثر فى الماضى ومات فب أهميته إلى هذا
الحد ؟ »

* * *

قال الثاني :

« است علماً فثروبولوجياً : لكن قيمة رجل
(بكين) تأتي أولاً من كون كل بقعاء قد اغتقت
وسط يرون الحرب الأهلية . لقد رسمه كثيرون
وصوره كثيرون ، لكن القليل الحقيقية قد
تلاشت . هذا نقل آخر من العزّ تكون مثل
(أطلنطس) و (ليموريا) وشهاب (تونجوسكا) .
» هذه نقطة .

« النقطة الثانية هي أنه الدليل الوحيد على
وجود حياة بشرية قرب (بكين) منذ نصف
مليون سنة .

« إن مختلفاته الموجودة ، وأدواته ، وبقياتها
الحيوانات التي كان يأكلها ، كلها أقل لا تقدر
بشئ بالنسبة للطعام . العلماء الذين يعتقد عدد
منهم أن موضوع (إنسان بكين) مجرد لكتوبة
علمية محبوكة .. »



النقطة الثانية هي أنه الدليل الوحيد على وجود حياة
بشرية قرب (بكين) منذ نصف مليون سنة .

وليتبع ريقه وأردف بعد تفكير

« ثمة نمر معين يحيط بهذه الصنديق .. لا أقرى
ما هو لكن للفائد الأمريكى حكى عن أشياء
رهيبية أشياء لأصنق حرفاً منها لأنى
لو صدقت لحرمت حقائقى وعنت إلى (التثبت)
حالاً ١ »

* * *

٦ - ليلة هادئة جداً ..

لم يكن له اسم ..

إنه يعرف نفسه والآخرين يعرفونه إنه
هو فما جنوى الأسماء إذن ؟

كان الجو بارداً فى تلك الليلة بالذات ، والجليد
ينهمر بالخارج صاعاً طبقة فوق طبقة من الثلج
الابيض القاعم ..

لا عجب فنحن فى العصر الذى سيطلقون
عليه يوماً اسم عصر الجليد . لكنه ليس عصر
الجليد بالصبط بل هى إحدى فترات الدماء التى
تفصل عصور الجليد عن بعضها فترة دوين
الثلوج ، وفصل الأكليل ، واخصر للسهول .

الطعن - يرغم هذا - مازال لا يطيق بالنسبة
للشعر

دخل الكهف حيث كان الآخرون يتكثرون
بالقراء ، ويجلسون متلاصقين في ركن المكس .
كانوا يرتجفون ، وخاصة تلك الكائنات الصغيرة
العارية التي تشرب ولا تأكل اللحم . لقي بالصيد
على الأرض وينظر حوله
يجب إشعال النار ..

فقط بالنار سنزيل هذا الجليد القاتل الذي يجمد
أعصابهم ..

بحث عن قطعتي من الحجر الأملس الخالص
الذي وجدته في قنهر ، وجلب ثلاث قطع من
الخشب كومي فوق بعضها ، ثم راح يضرب
الحجرين ببعضهما منتظرا الشرارة المقصدة
التي ستبدأ النار ..

وجوههم دقيقة منه . تومقه في توحش
وشغب ..

بعضهم يصدر من حلقه أصوات الرصاص .
أخيرا توجهت النار ، وبدأ الخشب ينتهب
الخبث يتصاعد . الدماء بملأ المكان
ثمة كائن صغير يحاول الإمساك بالزهرة
للحمراء ، لكنه يضربه بقوة على وجهه . هذه
الزهرة تقتل . لقد رآها تلعل ذلك كثيرا
ينظر حوله بحث عن الذئب الذي قتله اليوم

إن لحمه ليس شهيا ، لكن الصيد قد صار
نكرا هذه الأيام ، وما باليد حيلة . لو اختار
الفضل لولا أو غزالا ..

أعطوه جثة الذئب ، فأمسك بقطعة الحجر
الصوان العادة .. كان قد حصل عليها من القنهر ،
فهو تعلم من زمن طويل أن أحجار هذه الكهوف

الجبرية لا تصلح للقتال ، ولا تصلح للتمزيق

لقد راح يشذبها بعناية بالمستصال حجر آخر ،
حتى صارت لها حالة حادة نافعة

بهذه السكين البدائية شق لحشاء الذئب
وسلخه ثم بدأ يمزق لجزائه بظاية .

حاول أحدهم أن يسرق قطعة ، لكنه وجه له
ضربة عاتية في بطنه وصاح منزعجاً واستدبر
ليجد واحداً آخر قد نفر وجهه في لحم الذئب ،
وراح يحاول اقتزاع قطعة بالسيف ، فهوى فوق
رأسه بقبضته ..

إنه الأقوى إنه الأعشى وهو من ياكل
لولا ..

كن راضٍ في وضع اللحم على النار لقد ذلق
مئة فترة لحم تلك الذئب الذي ضربته بالصاعقة ،
وكان شهياً برغم أنه كان خائب من النداء

كن راضياً في إعلاء فكرة ، لكن الآخرين
ماتوا لتركوا اللحم على النار حتى ينصج
لا بد من قتلهم الذئب حالاً

أمسك بالقرء الدامى وقذفه لواحده إنه
يصلح كي تلب فيه كالنفا الصغرى العارى الذى
يرتجف ..

ثم إنه أمسك بكبد الذئب وقصم منه قصبة
كبيرة ، ليعطى عن شجاعته وألونه للجميع .
ها هو ذا يستمدحها من كبد الذئب التى تصم
شراسته كلها .

ولنفسه مرق قطعة كبيرة من اللحم وبدأ
يهش فيها ، وترك الباقيين يصطرون على
الجنة . يصربون بعضهم ويخمشون الوجوه

وبعد ثوبن كان كل واحد قد حمل غنيمته إلى
موضع فى الكهف ، وراح يلتهمها بسرعة ، وعلاء

تدوران حوله كالمجنون كي لا يباعته أحد من
الخلف ويلقوا بها ..

كان الجليد ينهمر بغرارة في الخارج ، وقد
صار مدخل الكهف مطلقا إلى منتهى هذا
خطر صحيح في الدببة أن تجيء هذه قليلة
- وزيارة الدببة ليست بالتأكد تجربة محبة - لكنهم
يفهمون بأن يصحوا ليجنوا أنهم مسجونون
تماما هذا خطر كالديبة تماما أو أسوأ

حمل قطعة كبيرة من الصوان ، وراح - ومعه
آخرون - يحاولون أن يوسعوا الفتحة قليلا . ولما
يصحوا مدخلا للباب ..

سيكون عليهم أن يكرروا هذه عملية العاصفة ،
وحتى تنتهي عندها يمكنهم فتح مدخل الكهف
بالتكامل ..

جلس وجلسوا حول النار يرتجفون

إن قراء الدببة لم يعد كافيا لجلب الدفء إلى
أوصالهم ..

ويعد قليل لب الدفء القليل والشلل المعدة
نورا لا بأس به ، وبدأت العضلات تفسخ ،
والجلود تنقل .. وبدأ عدد منهم يفقد قدرته
على البقاء جالسا ..

* * *

بعد مباحة - في عرفنا - صحا على الفول ذاته

صحا على صوت التمزيق والطحن ، وسمع
صرلخه ، وسمع عويل الكائنات الصغيرة وهي
تموت ..

في البدء حسبنا .. فقط الدببة تفكر على
هذا ..

لكن لا . لم يكن هذا أبداً

نيتهم كان .

وهب الجميع يلوحن بأسلحتهم المصنوعة من
حجر الصوان بعضها أقرب إلى الخنجر ، وبعضها
ربطت بالفتل كمجنول إلى غصون الأشجار على
شكل رماح . وصوبوها نحو الفول القادم .

ثم يتساءل أحدهم من أين وكيف نقل ؟ إن
شيئا كهذا نقادر بالتأكد على الدخول حينما يريد
أينما يريد ..

صاح من الخطر ، ومن الرعب ، ومن التوحش
لدى ثر فى لمة لا شيء يمنع فئتك من
الوثب على الدب مهما كان فارق القوة . إن
للغريزة أحكامها ودواعيها إنه نداء النداء
الذى لا يرد ولا يرفض .

كشر عن أسنانه القنينة فتى سجدتها (لوتو
زدانسكى) يوما بعد نصف مليون سنة ،
وأصدر صيحة وحشية ، وتفض على الخطر

طبعاً كن هذا آخر شيء قطه فى حياته .

وواصل فرجال الهجوم وهم يعون كالتعب

تطارت بعض فرقاب والآرع وتشطر أحدهم
إلى نصفين ، لكنهم واصلوا الهجوم ، وثمة فك
سجده (دافنيس بلاك) عام ١٩٢٧ .

هذا بذت الطبيعة تلعب لعبتها ، ويدورها شركت
فى المعركة ..

* * *

إن الكهف لم يخلق لتحمل كل هذا الارتظام
والصراخ والفكر والفزع

وكانوا يعرفون أن صرخة عالية قليلا قمينة
بأن تسقط قطعة حجر من السقف . لهذا كانوا
يتجنبون الصراخ غالبا

لكن الأمر قد اختلف الآن ، وبدأ الكهف العجوز
يعن عن مسخه ، وراحت الجدران ترتج

الجدعان التي نهكتها أظنان الجند التي تركت
فوقها ..

وبدأت الأحجار تنهار تنهار في
البداية .. ثم بجموح .. بهجاء .. وصرخ الأحياء
وهم يتلقون الجلاميد فوق رؤوسهم .

والهول ذاته لفتى وسط سحابة من الانهيارات ،
والتلطم للهار الجبرى بالتلطم النقي يدخلان قنار
الهامدة . والتلطم صوت الانهيار بالصراخ بنهشهم
العظيم . واختلطت رائحة النساء برائحة الرماد
برائحة القمار ..

ملحمة من الأصوات والروائح والفضائح

وفي النهاية هذا كل شيء ..

سك صمت ثقيل بالغ ..

* * *

بعد أعوام سيدوب الجند تملأ ، وتفيض الأنهار
لتملأ الكهف بطبقات (الفرين) طبقة بعد
طبقة تملأ كل ما بقى فيه من تجاويف ..

مسجد الأنهار طرقاً لغرى ، وتخصر الصحارى ،
وتتصحر القباب ..

ولسوف يختلف هذا الموضع كثيراً جداً ،
جداً ..

لكن رجلاً واحداً سيحدثه .

هذا الرجل لأمريكى يدعى (دونكسون)

* * *

٧- لم أعد معهم ..

نصحتني (هن - نشو - كن) وهو يفتح باب سيارة الاجرة :

- « لا أرى من الحكمة أن تعود إلى الفندق سيهرفون كيف يظفرون بك »

قلت وأنا أركب بجوارفه :

- « إن هناك تذكرة طائرة محجورة لي ظهر غد سأبحث عن فندق آخر القصى فيه هذه السماعات . ولكن حقاقتي .. »

- « بهذا سأأتي معك إلى الفندق . وسوف نطلقها معا »

شعرت بامتنان لهذا الهدء هسي فقلدة (النافرأى) حقا بوسمك في لبة لحقة لي تسترد حقائبك من فندق يراقبه للقتلة

وفي الطريق بينما أصواء (طوكيو) للخلاية تصبى كعادتها : سلكته

- « قلت إن هناك شيئا مضيفا يتعلق بالفندق

ولم تفصح . ما نوع هذا الشيء ؟ »

كذبت لأصواء الطريق تنعكس على وجهه الصلب الحزم قل صامتا برهة ثم قال في حذر

- « لا شيء خارقا للعادة أصوات مخبرات

من سافل إيج قهراء قمعد في هذه الأمور .

لكن ما يشير قلبي بحق هو نداء أجدادي »

- « أجدادك ينعون ؟ »

- « نعم الكاهن الأكبر (ملك - سورق)

يؤرض بكثرة هذه الأيام في مناسي . وهو يكرر

بلا توقف : لبتعد أيها (الرهرة الزرقاء)

لبتعد . إن الخطر داهم براء جليبا ، كما ترى فقط

يتربص بين الأعشاب للسوتو لبتعد لو خذ

الحد وقيام فليس الخطر ان لم يقتلك بجعلك
مقنعا . وعنده تكون (بافراى) كما ينبغي
ان يكون .. »

« هكذا فقط ؟ بلا تفصيل ؟ »

عص شفته السفسى وقال

« هذه هي التفاصيل ذاتها وما بقى هو هباء
كثيرون الأثر ان الكاهن الأعظم كلما يتصل به
ومضى هذا الى الخطر من طرقت جديد لم اعهد من
فيل .. »

« وما هي خطتك ؟ »

« سأعود الى المعبد ، ولجدد من يتكلم
لهؤلاء القوم يعرفون خيرا منى ، ويمسوقنى ببضع
خطوات .. »

ووصلنا الى الفندق ، فصعدت الى حجرتى معه ،
وبدأت اجمع حقائقى التى كنت قد حزمته فى

وقت مبكر من هذه الليلة ، وحرصا طبقا على
الاتبادل كلمة واحدة طيلة الوقت .

لا أعد بزرع جهاز تنصت ونحدا لهذا ولربما
وصعوا الجهاز الذى وجنته فى موضع سهل
عمدا .. من يدري ؟

* * *

فرع (هن - تشو - كان) الباب ثلثا ، فسمعا
من يقول شيئا باليهيتية

افتتح الباب فرائت فتاة يابسية ، لكنها من
الجيل الجديد المتأمر كإباء .

بشرة بيضاء عيونان غير ضابقتين شعر
أشقر (لم هو مصبوغ ؟) .

بدا الأهل عليها حين رأته ، وتبدلت كلمات
صبيحة مهمة مع الفتى ، ثم دعنا إلى الغول

٩٧

كانت شقة غريبة الطابع مصءة جيدا ، وكان
صوء النهار قد بدأ يعمر المكان لان أحداث الليل
استغرقت الليل كله ..

وفي ركن المكس كفت هناك عرفة بابنية الطابع
تركتها الفتاة هـ على سبيل الرمر - جنرلى من
الورق المطوى - حصيرة على الارض من القى
بسموها (نقلى) - لحاف مطوى واضح لها
كانت بالمة عليه منذ ساعة

قدم (هن - تشو - كى) نجما للاخر

« د (سماعيل) (اوشيمو ماجورى)
يمكن لكليك الكلام بحرية لان ثلاثت تعرف كل
شئ .. »

ثم اصاب موجهها الكلام لى (بالعربية) .

« إنها قلقة طبع من مجيل لدارف فى هذا
الوقت نقول انك سنجلب عليها التوبال لكى
متأكد من ان احدا لا يتبع .. »

« لا قومها كثيرا إنا نشبه مصيبتين »
« ستكون هـ فى أمان حتى يجىء موعد
فقرتك .. »

« ولت ؟ »

« سألنى هـ طبعاً ان مهمتى دم تشه
وعلى كل حال من مصلحة (اوشيمو) ألا تبقى
أكثر - نحن لانعرف ما قاله (ساكيجى) قبل
موته - ولربما كس بعض الأوعاد يستقلون
سيارتهم الى هـ فى هذه اللحظة بالذات ' »

وعادت الفتاة جاملة صحيفة عليها بعض الشئ
والهيكوبت والبيض الفاسد ، فوصعت كل شئ على
المصءة الصغيرة ، وقالت ما مضى (كلوا لقمة
سريعة) ، فافتترشت الأرض مع الفتى ، وبدأتا
لئكل - لم يكن فى صميرى شئ من القنايب لأى
مراحل - بل بالأحرى كنت مسرورا ان

(هن - تشو - كان) يعرف كيف يعنى بنفسه ،
وقد ان لزيد على كونى مصدراً للمتعاب له . لن
لفعل شيئاً ولا أصلح لشيء إلا لآن لكون رهينة
يضطرون بها عليه عند الظروف .. أصف لهذا أن
الصراعات الصينية - اليابانية على الخطرات هي
من آخر الموضوعات التي تهمنى في هذا العلم

يبدو لي قلقة تعرض وحدها ، ويبدو أنها كانت
ستخرج لصلها حين وجدنا لاسمها لهذا بدت
عليها الحيرة ماذا تصل بنا ؟

قال لها (هن - تشو - كان) شيئاً فاهتممت
لهصت إلى ركن العرفة وتناولت النخاع المطوى
لفرخته على الأرض ، وفكرت إليه .. فقل قلنى
- « يمكنك أن تتلم لو لرت سوف نوقفك
قبل الموعد بمعاة .. »

كن هذا أجمل مما كنت أحلم به . حقاً كنت

في غلبة الإرهاق وقد تفسخت لوصلى كلها ،
وكأن رأسى خطيفاً يحلق وحده كاليتون . لهذا
لم لسل لسلة كثيرة أفرغت سلطانية قضاي
في جوفى ، ثم نسمت عويى في جيب البذلة
اللطى ، وعلقها على مسمل ما هنك ، وأعطيت
للوجود ظهري ..

صلون جداً هؤلاء اليابانيون . جدران الغرف
من الورق بحيث يمكن تحريكها بسهولة وبلمح
البصر تكون هنك غرفتان أو ثلاث شرف .
الأسرة مرقب على الأرض تطوى بمجرد الاستيقظ
حتى لا تحتل مكاناً ، والوسائد محشوة بالأرز
كى لا تكلف مالاً .. و ..

و .. و ..

* * *

وحين صحت من النوم ، بدت لى الأمور
مختلفة نوعاً ..

لم تكن هناك جنرات ورقية .

لم يكن هناك كاهن آخر ، ولا فتاة بابلية

لم يكن هناك شيء ..

والبركت - بتكلى المصد - لى هذا المكان يختلف

بهتت مدعورًا لأورك لى جلس على مقعد
وشير جوارى نافذة تركس الأتجار لى هلع
- واحدة تلو الأخرى - من خلالها .

تلك الاقترانات المعمرة توحى لى لى لست
فى مكان ثابت على الأرض لى هذا قطار
قطار نظيف مؤثث كأنه استراحة خاصة

(برهشت) بهرنى أكثر ، فشعرت بالحنين
توضع على لى لى الآن كتهى كل شيء بوضوح
تام ..

لكن فى عربة قطار بالفعل - وحولى نحو

خمسة من القبايعين تقبلين وجوههم وأحلامهم ،

لكن ملامحهم لا توحى بالظبية المطلقة

كن منهم الواقف والجالس ، ومن يداعب
طفله بهنجر صغير وكان منهم من يدخن
ومن يشرب شيئًا من (ترموس) صغير

ونظرت لى لى مباشرة ، فوجدت تلك
الأمريكى . مستحيل ألا يكون لى لى
شيخا فى الستين أو السبعين من عمره لكنه
بحل مقولة يدين يمتلئ وجهه بالتجاعيد
برمقى بهنن رمانتين من فوق إطار عويست
مثنوية على قصة كفه

قال بلهجة جعنتى أتأكد من أنه أمريكى (لى
القلب من الجنوب أيضا بسبب مقاطعه المقطوعة)

- « تأسف على هذه الطريقة يا بروفسور »

تأسف ؟ هذا ما كن يقصتنى لأفهم أنهم

لخبطوني من دار تلك الفتاة . ماذا كان اسمها ؟
كيف فعلوا هذا ومتى ؟ أين ذهب (هن - تشو -
كان) ؟ لماذا لم يحميني ؟ هل كان نومي ثقولا إلى
هذا الحد الذي ..

رباه ! الطلقة !

وبحثت في جيوبى كنت أركبى ستريتي ويبدو
لهم اضطروا لهذا كي يخلصوني دون فترة قريبة
أين التلصقة ؟ هل فات الوقت ؟

قال الأمريكى ملوحا بقصاصة ملونة في يده

« هل تبحث عن هذه ؟ »

وأشعل طرفها بدماحه في هدوء ، وانتظر هيبه
حتى كانت تشير أن تعرق قمصه ، ثم لفى بالشمعة
في مظافة تبغ على المنصدة أمامه

تسعت عيناي ، ويبدو أنه سمع لكبرى

فقال :



واسمع طرفها بدماحه في هدوء وانتظر هيبه حتى كادت
النيران تحرق في اليأسه

- « لقد أكلت الفطيرة منذ ثلاث ساعات
يا برويسور لم تعد لهذه الفطيرة قيمة
إن »

ولشغل نفسه الفطيرة تبغ فطيرة ، وسهل قليلا ،
ثم قال :

- « سميت أن أقدم لك نفسي (مارك
دونالسون) .. أمريكى »

كنت أقول له - فى سذاجة - إننى توقعت
هذا ، ثم عدلت قد لا أعرف مقدار ما يعرفه
على كل حال ربما كل من الحكمة أن يبيع
ولا يشتري ..

قلت له فى وهن :

- « لماذا لم تقتلنى ؟ »

ابتسم وعمر بعينه اليسرى . كفت هذه عدة
عصبية عنده - كما تبين بعد قليل - وقال :

- « يخيل إلى أنك لا تفهم الموضوع جيدا
لست فظة . أنت هنا صيفنا المكرم حتى يتعاون
معا صديقك الصينى »

- « صديقى الصينى ؟ وأين هو ؟ »

- « كنا نصحبك الآن على الإجابة لم نجده ،
لذا اضطررنا إلى اصطحابك معنا ولهذا اخترع
(الكولور فورم) كما تعلم »

آه ! فهمت .. المشهد الحادث فى السينما
رجلان يجران جراً ، وأنا غائب عن الوعي
وكلم قبلهم رجل مرتاب أو شرطى فالأشياء
عن إفراطى فى الشرب أو غيبوبة السكر
لو لو

- « وإلى أين تأخذونى ؟ »

- « هذا القطار متجه إلى (ناجويا) إن
خط (توكايدو) هو أهم خطوط السكك الحديدية

فى اليابان ، ويربط (طوكيو) بـ (أوكا)
(ناجويا) .. »

كان على مهلباً بفعل المظفر . ضباب كثيف
بضر الفكارى ، لكنى كنت أعرف أن (ناجويا) هى
أهم موانئ اليابان . إن (طوكيو) لا تصلح
إلا للسفن الصغيرة .. لكن (ناجويا) . أه
لويصلو على قليلا (ناجويا) على بعد نحو
أربع مائة كيلومتر من (طوكيو) . أى أن هذا
القطار يقطعها فى . . يا للضباب !

* * *

جاء أحد الرجال بالطعام ، ووضع على
المنضدة . صحن لؤلؤى .

وصح (دونالسون) بالمنشفة حول عنقه
- كم يفعل الأطفال - وتكب يفتك بالطعام فتكا ،

وكان يستعمل القصون ببراعة كأنه يلقى لهم
يلقى ..

- « هل تحب (الموشى) ؟ إن من يلكه إنما
يرهن على شجاعة حقيقية . إن التوكل لا تناسب
أرحنى . لكنى كلفت عن تصديق الأطباء منذ بلغت
الستين ولم أمت ! »

كان ثراثا بحق ، وأدركت أن هذا سيماعدنى
على أن ألتزم الصمت ..

- سأقتل صامتا نفسى حتى يقرروا أن ينزعوا أول
ظفر من إظفارى . عندها سأكلم عن كل شيء .
سأحكي عن مرطبان القمري الذى أكلته كله فى
بيت غالى ، وعن آلام القواسير ، وعن فشل
قصص حتى كلها . سيحتجون إلى تخديرى من
جديد كي يمسكونى قليلا
لما الآن .. فلأخرس ..

قال (دويلسون) بفهم ملهىء بالاضفادع
وصراصر البحر :

- « منذ ايام لا اكثر كنت فى (فيرجيبيا)
أمرس حيتلى الجديدة بشيخ أمريكى متقاعد
ثم حدثت تلك القصعة لقد عثر الصطحبون على
قلند الفرقاطة الأمريكية التى سرها اليابانيون
فى أثناء الحرب تكلم قرجل كثيرا وعرفت
ما كنت أسمى به سمعته إلى قصصى قلى
فصب بتعبتها منذ ثلاثين عاما ما رلت
سليمة لم تعرف قها فى مكان ما فى
قيليس وهكذا حرمت حقلهى وجب فى هب
كن لا بد من استردادها بنهادت أهمية
لا يعرفها احد سواى وهاتذا قد ست
ما أرتت »

بظرت به فى فهم ، والكنت مى السوال

- « هل هل وجدت الصديق ؟ »

- « لها معا فى هذا القطار ، ولسوم بشحنها
من (ساجوب) إلى لولايات بعد ساعات ماذا
كنت تظن ؟ »

* * *

٨ - البحث عن العجوز ..

(رفعت) قد لفتنى !

حقاً لا توجد أثر مقاومة ، ولا يوجد عصف ،
لكى الكهل فريسة سهلة على كل حال ، وما كان
لهدى مقاومة لكثير مما تنهيهما أفراخ قطاة
يختطفها ثعلبان فى غيب لهما .

حقاً قد لخطأت حين تركته نكماً وهذه تحرمه
الفتاة ، وغادرت المكان كان ملاماً فى سلام
كطفل ، وقد افتتح له وراح يقطعون لقطاع
لذا تباهلت الكلام مع الفتاة ههنا .

اسمها (أوشيمو) يابانية تتكلم بعض
الصينية ، ولدت صينية تتكلم بعض اليابانية ، لكن
النفهم بيكما كان كاملاً . إنها تعمل مع

(توكيجى) وقد قلبتها مرة لو مرتين ، وزرتها
مرة من قبل . إنها جذبة رقيقة ، وتجذب
أى رجل على ، لكذلك لست رجلاً عالياً .

* * *

- « لاتروهن يا (أتقدا) لاتحدثوهن
يا (أتقدا) . وإذا تحدثت إليكم واحدة منهن
فلا تكثرنوا لما تقول يا (أتقدا) ! »

* * *

حقاً كان (جوتاما) يبالغ قليلاً ، ولكن النسوة
قد رقتاء . لكذلك تمسكت بلبى النصيحة وعرفت
كيف تحفظ بكرة القلب والصد ، وهما مقدسان
لكاهن (النافاراي) وبعد لم يكن هذا أول
ولا آخر إغراء فى الحياة . إن فى روحك شيئاً
يجذب للنساء كما تجذب الزهور النصل فى
الأرومة . وهن يقرن فى عينيك لتحدى الذى

يقول لك لا تلبس بسهولة لهذا بصممت
لهذا بحسن لهذا يصعب في كفة للمبرور
وبختبرك طيلة الوقت

وكالعادة تجتاز الاختبار في كل مرة

نقول لك (لوشيمو) ههه

- « هل تثق به ؟ أعني صاحبك الأصغر هذا ؟ »

فتؤمن إلى (رفعت) القنم ، ونهر رأسك

- « كنفسى إنه يملك جسدا ذاهلا ، لكن

قلبه زهرة .. »

نقول لك في قلبي :

- « لقد هتفتنى أحدهم ليلة أمس ثمة

عسبة نقل مربوبة تمت من معهد (ميكادو) إلى

المحطة هل تعرف ما تم نقله ؟ »

تسمع عينك اهتمام ، وتقول صاغطا على

حروف كلماتك :

- « صديق صديق مطلق بشرائط من
الأومنيوم ومحتومة بالشمع الأحمر صناديق
يبدو عليها القنم .. »

- « أصبت .. »

وتنظر إلى ماعنها الأنيقة وتقول

- « كل الدلائل تشير إلى أنها ستسجن في

قنطر الوالدة بعد الظهر إلى (نجويا) هناك

من حجر نيوتا كسلا وعربة بصائع في هذا

القنطر هل تعرف ما (نجوب) ؟ »

- « أحسبه ميناء ؟ »

تقول وهي تجوب الغرفة الصيفة كتها يمر

حييمس

- « بل لكبير مونييا إلى في (طوكيو) موب هي

هم (شيبورا) و (يوكوهوما) ، كنهم لا يصلح

للمنى الكبيرة الأمر يهتق أن بعبارة محيطات »

الآن تنفك جدائل الفخر ، ويستطيع الحبل في
يدك شيئاً طويلاً ..

لقد حققت للعظمة المناسبة لكى ينقل هؤلاء
الصناديق من معدن (القشتو) إلى القطر ..
والقطار سينقلها إلى الميناء بعد أن يسمع
أحد عن الصناديق مرة أخرى ، ولأعوام طويلة ..
تنهض ، وتتأكد من أن معك كل شيء ثم
تنظر إلى الكهل الرائد الذى لا يمشى حرفاً مما
يحدث تقول فى ضيق

« سأذهب إلى هناك ولكن ماذا عن طرفة
هذا ؟ »

تهز (لوشيمو) شعرها ، وتقول :

« أنت تذهب ، أنا أبهى لا بد لي هناك ،
لكى سألتهم لصديقك تفسيراً مرضوا حين
يصحو »

تهز رأسك ، وتشعر بشيء من الاطمئنان .

لا بأس . من الخير أن يعود (رفعت) إلى
وطنه الآن ، ومن الخير أن تبقى الفتاة هنا
لأنك لا ترغب فى أن يتكلى ثوبك الطويل على
الأرض من خلفك ، فيمسك به أعدائك . من
الخير ألا تكون لك ديول لتمسكها للذئب ..

ودون كلمة أخرى شعرت المكان ، علاماً
على الاتجاه إلى محطة السكة الحديدية .

* * *

كان كل شيء على ما يرام

لقد وصعت لمطار الأمود على قلبك ، وورثت
السفرة الأنيقة التى أعطتك إياها الفتاة . كُصفت
فشارب الأمود مغولى الفطير على شفتيك السفلى ،
وهكذا صار لك وجه آخر . لم تعد زهرة زرقاء
نعم ونفق بعالية ..

وموت من المخازن ..

رائحة المازوت تفعم الجو ، وهدير القطارات
العضبي الممتلئة إلى الرحيل تكتو من الباب
الرئيسي وترمق الحملان يروحون ويجهنون ،
وأكثر من (لوبر) صغير يحمل صندوق
متباعدة الحجم والمظهر

يدسو منك أحد العاملين هما . وهو يحمل
لوح كتبية ، ويبدو كمن وقع على كنز
يسألك عن شيء ما بالتاكيد يسألك عما تريد
هما ..

تنظر حولك فتبين ألا أحد يرى ما سيحدث

وما سيحدث هو صعقة سريعة على صدغ
الرجل بالذات على مركز (الكارف) الثرى
الذى يضع إلى الجمد كله

النتيجة هي أن الرجل يتهاوى كالبالون لدى
قتزع المحيط من عنقه ، وتظفر أنت بشيء
المبللة بالعرق تستبدلها خلف صندوق عساق ،
ثم تخرج في ثوب جديد ولوح لكتبية بين
يديك ..

والآن تلهم بهبطه - لكن بشكة - ما يحدث
هنا .

الحق أن عند الرجل شميري المظهر
أكثر من اللازم هنا ، ويمكنك بعين الخيال أن
تري المصالح لدى يديه كمن منهم جوار
خسره ..

إنهم يراقبون كل شيء يراقبون الصندوق
يراقبون الحملان يراقبون المنطل يراقبون
من يراقبهم ..

لقد كتبت الإخبارية محقة بالتأكيد

هذا المناخ المتوتر يقول إنها محقة .. ومن المؤكد أنهم ينقلون الصناديق إلى القطار الآن أو سيصلون ذلك حالاً .

ديوى كامل فى القطر ، وعربة بضائع محبوزة لهم بالكامل ، وكل هؤلاء فصل اثنين يبنون كلما هم ملقبة خاصة لمدير هذه الصلابة

إنهم لقوياء حقاً واسعوا النفوذ والثراء .

وحتى أنت فيها (الزهرة الزرقاء) لك حنوك ، ولك الجبال التى لن تبلغ أعلاها ، والأنهار التى لن تسمى خورها ..

إن إيلف القطر ، ومنع شخص الصناديق ، لأمران يحتاجان إلى فريق من الرجال إلى جيش .. إلى اتصالات ..

سيكون عليك أن تبلغ من تبلى من رجال (تلكجى) . عليهم أن ينتظروا فى (ماهويا) ويحاولوا إجهاد نقل الصناديق إلى عبيرة المحرطات بأى ثمن ..

وبعدها ؟ عليك أن تخبر الصيدين .. هم وحدهم يعرفون الخطوة التالية . فقد كنت على عاتقك مهمة معينة ، وقد عجزت عن تحقيقها . لقد كانوا هم الأقوى والأمرع والأكثر علماً

لكن لم يضع كل شيء بعد

* * *

وملهوفا تعود إلى دار (لوشيمو) كى تخبرها بالتفاصيل ..

لكن (لوشيمو) لم تكن هناك . ولم يكن (رلفت) ..

فقط وجدت الورقة الموصوعة حيث كان صديقك
يظن ، ورقة المخطر التي لا يمكن أن تخطئها
إن تُف (التفتي) الحساس لا يفوت شيئا
الورقة تكون بالإنجليزية

« إن سلامة صاحبك مسؤوليتنا لو كنت
مهتمًا به يمكنك الاتصال برقم الهاتف () ،
ولسوف يتم ترتيب لقاء . »

هكذا إن هذا نوع من المصالحة حياة
(رفعت) أو إنشاء مقفل مقابل ماذا ؟ في القلب
هم يعرفوك جيدا ، ويعرفون علاقتك بالحفريات في
(تشوكوتس) إن هم يريدون رجلا لهم هناك
يريدون رجلا يعرف كيف يهرب فريد من
العظام القديمة ..

ولن (رفعت) الآن ؟ ولن (لوشمو) ؟
إن ذلك الإحساس في مؤخرة رأسك : الإحساس

لذي تشعر به الصخرة نحو الحيز ، والذي تشعر به
المسحبة نحو الأكمة هذا الإحساس الغريزي
المبهم : لذي علمك المعظم الاعظم أن تحترمه وإن
تعترف به الإحساس لذي قد يدعوته للحاسة
المسكنة أو المسبعة لا بهم

هذا الإحساس يقول لك ببساطة إن (رفعت) في
القطر ..

القطر المنجه إلى (ماجوب) الآن
هذا يبدو متطابق إتهم بفروا بالصديق
وبرعهم في الآن ذاته

كم الساعة الآن ؟ للوحدة والربع
لقد فات الآن تحرك القطر نحو الغرب منذ
ربع ساعة هذه هي قبلان حيث لا تقع معجزات
مثل أن يتأخر القطر نصف ساعة
ماذا تفعل ؟ كيف ستفعله ؟

ويقول الأخ (مياج) :

- « هل تطمت من قبرى سرعته ، ومن لتمر
شرسته ، ومن الشهب تصميمها ليها (الزهرة
الزرقاء) ؟ »

- « تطمت هذا ولكثر ليها الأخ (مياج) . »

- « وهل تطمت من أحقر الحشرات صيرها
ومثارتها ليها (الزهرة الزرقاء) ؟ »

- « تطمت هذا ولكثر ليها الأخ (مياج) . »

وقال سائق السيارة ليهبقي لدى هو من
رجال (تكيجي) ..

- « نحن نسير بسرعة مائة وستين كيلومترا
با (هن - تشو) هل أنت وأنتى من أنك قلدر
على هذا ؟ »

- « أحب أن اعتك هذا »

كل السلق باوعا ، وقد استطاع بالضبط تحديد
النقطة التي يهبط فيها القطر عند (لوكلو)
ها هو ذا القطر بانوح من بعيد كخط أحمر يراق .
وها هو ذا السلق يحلقه بالسيارة قدر الإمكان

سرعة القطر تبطئ تدريجيا ، والسيارة
محتلقة بسرعتها . الآن تبدو عربات القطر شبه
ثابتة بالنسبة للسيارة . وهو واسع جيد لكنه لن
يدوم طويلا ..

بته الجحيم ! كل هذه الاهتزازات والهواء الذي
تحول إلى جيش من الأكف الباردة تصلحك
بلا تقطاع ..

تفتح باب السيارة وتخرج جذعك تثبت
قبايب يتأرجح بلا تقطاع ، وها هو ذا باب عربة
القطر على بعد ثلاثة أمتار وإلى جواره ذلك
القصيب الرأسي الذي سيومح لك بالثبوت .

« الان ! »

وفى اللحظة ذاتها وثبت فى الهواء ، وكنت
تعرف أنك ستفقدتها إلى هى اعساكك قط بري
يقط ، لكنه بحاجة إلى من يخرجه إلى السطح
من ان لآخر

تعلقت بك بك بالقصيب ، واستطعت أن تتمسك
جيد ثم تلقى نظرة على المسيرة ، فتجدها
تتقهقر بعدما عجزت عن مواصلة المسيرة
الان لم يعد الأمر بالصعوبة السابقة

كنت فى الفطار فعلا سرعة جسمك هى
سرعته بقى أن تثبت جيدا .. لا تصطط الآن
وتعت حول ل تجد فريرا تضع عليه قدميك
حول من تقوم تلك لرجلة الأرضية فى مفيك ،
فهى لا تنسى إلى عالم (الكارما) ، وبالتأكيد
هى لا تلبى بك ...



تعلقت بك بك بالقصيب واستطعت أن تتمسك جيدا ثم تلقى نظرة
على المسيرة فتجدها تتقهقر بعدما عجزت عن مواصلة المسيرة

أنت هنا ..

فكر في هذا ..

تأمله ..

عليك أن تجد ثغرة واحدة تنفذ منها إلى
الدخل ..

وبعدها ستكون المواجهة

* * *

٩- الحقيقة .. كل الحقيقة ..

وكان (نونالسون) مازال يثرثر ..

كان قد شرب جرعات عديدة من (المصاكي)
لساكن ، ولو كانت هناك عقدة ما في نسائه فقد
انتهى أمرها منذ دهر .. الآن قد انشق وجهه
ولزينة أفقه ، وراح يهتف بلا ققطاع ، واحتشمت
هبيبات العرق على جبينه

إن بقاء هذا الرجل حياً ساعة أخرى لمعجزة
حقيقية .

قال في غل :

- « حقوق الصينيين ؟ هراء ! أنا كنت معهم
عام ١٩٣٧ وعلمت هؤلاء القروء للصغر كل
شيء .. علمتهم كيف يتخلون للتربة ، وكيف

يصنعون ألواناً من جفن الحاريف ، وكيف
يريدون الشوقب . كل ما يعرفونه هو بفضل
لنا ، وبعد هذا يتحدثون عن حقوق ؟ »

كس قد نخل في الطور المعتاد للسكاري : فهم
بخوضون معارك وهمية بلا مبرر ، ويتشاجرون
ويصرخون ويلوحون بقبضاتهم ، ثم يهانون
ويكونون بلا داع أيضاً

« إن رجل (يكن) ملكي وحدي لقد وجد
سواي بعض الأسارى أو الفكوك . لكني وجدت
هياكل كاملة . هل تسمضى ؟ هياكل كاملة
كم نسوى هذه الهياكل الآن ؟ وكم يدفع لها
أى متحف تاريخ طبيعي في الولايات أو بريطانيا
العظمى ؟ إن للثروة صوراً عديدة ، لكنها كما
تتخذ شكل بقايا عظمية وصخور .. »
وراحت يده ترتجف .

نظرت للبابطين الواقفين حولي ، فأدركت
أنهم يهانون الرجل حقاً ، ولو لم يكن الأمر
كنك لطلبوا منه الكف عن الشراب والثرثرة ..

« خذ عنك تلك الأحق (ميتسوجوياما) »
ونظر من نافذة القطار يرمى الأشجار
الركضة :

« لقد صلب كه ظلم بكنز وها هو ذا يفل
محتويات مطبنته في نظام إلى (طوكيو) لقد
استعمل مضيق هك ! مضيق (أولاجا)
ليدخل سطحه منه ، ولحق سرية نامة حمل رجاله
الصناديق الثقيلة إلى أحد معابد (الشنتو)
المهجورة خارج المدينة . كل هذه المعابد لها
عالم تحت الأرض شديد الاتساع ، ويسمح
بلخفاء مدينة كاملة .. لابد أن الرجل كان
يعرف هذا المعبد جيداً .

« ويبلغ الرجل تقريره إلى رؤسائه .. كفت
الفرقاطة الأمريكية تحمل بعض المؤن والذخائر
لكن . هك ! لاشئ » آخر »

ومسح فمه ، وصحك لخطر عن له ثم قال

« وتمزسو الحرب . لقد عاش (جويما)
ولستطاع أن يرى قنار بلاد في المحيط الهادي .
وحضر معركة (ميدوي) ، بل وعاش ليرى أول
قبلة ذرية في التاريخ تهوى على (هيروشيما)
ودعى قل لك إن هذا شعب صلب . شعب ضيق
لو سألوني للصحتهم ببقاء القبلة .. لاشئ
مروي (اليورانيوم) المشطار يقدر على تعطيم
إرادة هؤلاء القوم .. »

كنت أصرخ ثم وجدت أن أركض في الأسنحة
غير التقليدية لن تروى للرجل . بل مستفسد
عليه كل هذا (التجلي) قنثار ، ويوقف ولعل

المعلومات المنهال على رأسى .. ترى هل
سأستفيد بها يوماً ما ؟

لوف (دونكسون) وهو يصب لنفسه قهزيد .
« هل (جويما) صامتا طيلة الحرب
وبعدا . ثم يتكرر . أو يظهر أنه تكرر . الصنديق
إلا عام ١٩٦٣ ..

« يبدو أنه عاد لمعد (فشتو) وهذه . ويبدو
أنه قرر أن يترك وهذه ليرى ما بالصنديق

« حسن . هك ! لا أحد يعرف بالصنديق
ما حدث بعدها . يقال إنه شوهد يمشي نحو
الأشجار شبيه مكثك وقنصر . أعنى أنهم
وجدوا جثته قلى تغرس فيها السيف على
طريقة (هاروكيري) المشهورة لا تنس أنه
رجل عسكري ، وهؤلاء لا ينتحرون بالمعنى لهذا .
فقط القريبون يفجرون رؤوسهم بالرصاص

لو يبتلعون عتبة كاملة من قراص الموم .

« هنا لابد من سؤال واحد جيد لماذا
تتحرر ؟ لأحد يعرف لكن اتحاره كان مفيداً
لأنه ساعد على تحديد دقة اهتمامه ، وكان
معهد (القشتو) الذي سأت بقربه ، مع شهادة
بعض الجنود هي الخطوط الذي بدأنا منه في
بحثنا ..

« جئت لنا وتصلت بمن يهمهم الأمر
أليس لا يتكلمون كثيراً ويعملون أي شيء مقابل
المال . كان في معهد (القشتو) شيخ كاهن
ممن إنه من تلك الطائفة الذي يعيش
بالقصور الدثني وعلى مهبل عمادة أنا أكره
إيداء الشيوخ لأنني هكذا صرت منهم . لكن
للضرورة أحكامها وكان على الرجل - الذي
تمرت لديه اليمتى - أن يكوننا عبر الممرات
شديدة التعقيد أسفل المعبد ، ويرينا الصنابق »

ومطُ شفته السفلى بصقار وقال :

« ولكن دعني تؤكد لك أن مايقال عن قوة
تحمل هؤلاء الكهنة البابليين على المستوى
القصدي والروحي خرافة لقد ملأ الرجل
قلنيا صرلغا وعويلاً بمجرد أن قطع (ييكو)
قلنه . وكان الأمر يستحق كل هذا الصعيب »

واينسم وأشار إلى أحد البابليين الواقفين
- الأخ (ييكو) طبعا - فهز هذا رأسه في
استمتع ، وأخرج من حرامه خبجراً لوج به في
الهواء على مهبل القحية ثم أضده . يبدو أنه
لهم أن الكلام موجه له

سألت (دوناتسون) سؤالاً لم أطق كتابته .

« لحظة » هي الظروف التي أدت إلى
تحولك من عالم آثار إلى زعيم عصبة يقطع
أذن قريهات قشيوخ ؟ »

كان سؤالاً خطراً لكنه مهم . فلما لا تترك
أبداً جانباً مظلماً من طباع الإنسان يصر على
دور أن أحول فهمه ، حتى لو كنى هذا آخر عمل
لؤديه ..

قال (دونلسون) :

« كل الناس طيرون كريمة النفس حتى يحدث
ما يلف عائق أمام مصالحهم ! لقد أوشكت حيتي
على الانتهاء دون أن أعيشها لحظة . هك ! لقد
عشت كمجنون لا يكف عن التفكير في إيمان
(بكين) . لقدت لمرتي وماتت زوجتي وأنا أحلم
بإيمان (بكين) كل الثراء والمجد اللذين
يبتكراني لو لم يكن (ثورنولد) نصناً
و (جوياس) وغداً .. والآن لم يعد من العمر
ما يكفي للاستمتاع .. حين تصير أعوانك

قصيرة مثلي لا يعود لديك وقت للراحة . إنك
هك ! ستمزق أحشاء كل من يقف في طريقك
حتى عن طريق الخطأ .
سألقه من جديد :

« وكيف تدفع لكل هؤلاء الطبعية ؟ »

أخرج سيجاراً غليظاً ، وراح يحاول التصويب
عليه بالقداحة خمسين سنة كاملة حتى تمكن
من إصطياده ..

لغت مدخنة كثيفة من الدخان في وجهي ، ثم
قال :

« إن لي صلاتي ها .. ثم إنني أسحب من
رصودي ما يساويه هذا الكشف يوماً ما »

سيجار ولطائف تبغ ! هذا الرجل يمتحن
جسده المعجوز أكثر من اللازم ، ودعوت الله لي
تصبيه نوبة قلبية الآن حالاً وننتهي .

قال الأمريكى وهو بمنى السيجار :

« المهم . لقد وجدت الصديق كما كنت لك

كان ثلثان منها مفتوحين بما فيهما من
صخور وقطع عظم الصندوق الثالث - وهو
أهمها - كان مغلق لكنه ليس للثقيل المحكم قذى
وصعته عليه يوما ما من عام ١٩٤١

« ثمة من فتح الصندوق ثم أغلقه أغلقه
في غير براعة ويمكن أن تقول دون خطأ كبير
إن هذا (جويشا) ..

« ما الذى وجدته (جويشا) بالصندوق ؟
ما الذى جعله يحد غلقه ثم يفر فى دعر ليوثر
بصيف فى معننه ؟ هه ؟ هل يمكنك أن تخبرنى ؟
كان قد لب برأسه منى كثيرا . وعياده شبه
معصنين فى وجهه المنتفخ . إنه ممن يتمتعون
بموهبة البخر من القم قلت كى بيتد عنى :

« ربما وجد مرآة ولم يتصل شكل وجهه ؟ ! »

« لا .. لا .. لقد أصيبه الذعر .. لأنه لم
يتصل ما رآه من (شىء) »

« هنا بدأ القار يلعب فى عنى . (شىء) ؟ هناك
(شىء) على ما يبدو . ومن الواضح أنه
ليس جميل المنظر ..

صانته فى قلق :

« أى شىء بالضبط ؟ »

اهتزَّ ضعفاً وترجرج بطنه عدة مرات ، ثم
قال :

« شىء الذى وجدت بقاياها فى الآخر مختلطة
بالصخور .. لقد تعاونت مع صينيين على وضعها فى
ذلك الصندوق وتلكت من غلقه إن هذا الصندوق
بالدوت لا يضم رفقت رجل (بكين) بل رفقت من
فك برجل (بكين) منذ نصف مليون عام ! »

قلت في صبر :

- « لحظة برغم غربة القصة ، فلما لا أجد العنود على رفات قديم - ولو كان رفات (بوليوس قصير) نفسه - مبرراً لالتحضر »

- « هذا يعني أن الرجل قد جنّ هك ! إن الموضوع مثير بحق . ألا ترى هذا معنى ؟ »

- « بلى .. بلى .. »

لمسك بالترموس وصبّ لنفسه بعض المسكى ، ثم قال :

- « كنت خطتي هي في أربع بقايا رجل (بكين) أولاً ، ثم اعتكف على دراسة بقايا ذلك (الشيء) في أمريكا مأخذ راحتي ، وكتب تقريراً عظيماً ثم وإن يكتب .. »

- « كنت صغير السن وقتها ، وكان لأمس الزمن كله ، وكل الأمريكي متحمسين لأخذ هذه البقايا

القيمة ودراستها . فريق عمل رأسه طبعا

نقد جاءت الفرقاطة (بوليت) في سرية تامة لتأخذ الصنخيق ، لكنها تأخرت يومين أكثر من اللازم .. يومين كلما كافيين كسي تدخل أمريكا للحرب ضد اليابان ، وكى الخط لنا كل شيء . كل شيء ! »

* * *

هنا نقل قديون أحد اليابانيين ، ودنا من (دونكسون) ليقول له باليهقية - وبصوت خفيض بلا داع - شيئاً ما ، هذا بعض الاهتمام على وجه الأمريكي ويدوره أمر الرجل بشيء آخر .. هز الياباني رأسه وقصّر

وعلى الفور جرد ثلاثة من الرجال أسلحتهم القنوية والبيضاء ، وغلبوا المكان لاحتلوا بالأول .. كقوا بارتيس برود المحترفين برغم أهمية الخبر الظاهرة ..

نظر لي الأمريكي فرأى علامتي عدم الفهم
على وجهي . أمرت لقضاء إذا شئنا النفاة ،
فقال :

« لا عليك . هناك متسلل إلى القطار لقد
رأه أحدهم يثب إليه من سيارة .. وهؤلاء الرجال
سينكثرون من أن مخزن البصالح على ما يدرم
« لا خطر هناك . هك ! لا خطر على الإطلاق »

* * *

١٠ - أوقفوا الهول الآتي ..

القطار اليابتي الأنيق يواصل رحلته للمسريفة
نحو (ناجويا) ..

وفي الديوان الذي تحول إلى غرفة عمليات
(نوبالسون) كنت جالسا . لريح كوعى على
بطار النافذة وأرمى اليدين الرافضة لمسى

تري ليس (هن - تشو - كان) ؟ لماذا ذهب
وتركني ؟ ولماذا سيقبل حين يعود فلا يجلسني ؟

كيف له أن يعلم أنني هنا في هذا القطار ؟
وكيف ينتهي هذا الموقف ؟ هل سينقلونني معهم
إلى الولايات أم يتخلصون مني في الميناء ؟

بما أعرفه عن (الزهرة الزرقاء) أعتقد أنه
سيقتصر ف ، لكن كيف ؟

ونظرت إلى المضدة ألسى . بينى وبين
(دونلسون) مضدة صغيرة مثبنة بالرضية القوية
إلى عليها مغطاة تبغ ثقيلة تصنع لأهشم بها
رأس الرجل ، فقط لو كنا وحدنا . لكنه محاط
بهؤلاء القبطجية طيلة الوقت
كيف يمكن أن ...

• • •

هنا فتحم البيون أحد القبطيين كلهم بجىء
من خلفية القطار اعتقد أن عربة قشعر خلفنا
مباشرة أو تفصلنا عنها عربة أخرى وواضح
لهم أنهم من هناك ..

صاح باليهودية فى فرع ، ونظرت إليه فوجدته
ملوثا بالدماء كأنه سكب عليه أحدهم دلوا
من الدم ، وبمنظرة طبية أتق عرفت أن هذا ليس
نمعه هذا دم واحد آخر كن معه !

هبة الرجال ، وتأكدت أن منيهما من حشو
سلاحيهما ثم احقا به ، وسرعان ما سوارى
الجميع . عربة القطار التى تجعد الخيل فى
هوائها قد صار بها أربعة أشخاص لا أكثر أنا
و (دونلسون) واثنان من رجاله .

سألته فى حذر :

« مشكل .. هه ؟ »

ابتسم فى ثقة ، وقال .

« لا داعى للامبالاة الزائدة هناك متعب ما
يبدو أن المتسلل شديد المراس ، لكن الموضوع
منته على كل حال .. »

ومرت ثوبن ثقيلة بفلق ثقيلة

صوت طنقت رصاص . صراخ مربع مربع

ثمة طرققت على باب البيون الذى يقود ليلقى
القطار : الجزء الألسى منه

فتح أحد الرجلين البابين القريب ، فبرز وجه
المحصل الممتنع قال شيئاً ما ، ففوح الرجل
بقوة مبدسة تحت أنفه وقال شيئاً آخر فقط
المحصل يتراجع في دعو والهب يهلق من جديد
قصبة واضحة جداً « ماهرة يا سيادة هل
صوت الطنقات هذا من عندكم ؟ »
« لا تتدخل فيما لا يعبك يا رجل فهذا لن
يفيد صحتك .. »

فجاء صوت أنهم اليه بقية جيداً
صوت طنقة أخرى .
صرخة ..

ينفتح باب الديوال الخلفى ، ويدخل أحد البلطجية
لم يكن ملوئاً بالدماء ، لكنه كان في حالة عصبية
غاية في السوء ، وكان يرتجف كورقة

ملكه (دونالسون) وقد بدأ يتوتر .
- « (إيكو) ؟ »

- لم يكن هذا هو (إيكو) . إنما الأمر يكس
ينساعل عن أين ذهب (إيكو)
وكان جواب البلطجي بلقاً جداً . رفع يده .
وكثرت تقبص على كف أنمية مبتورة هذا هو
ما بقى من (إيكو) . وسرعان ما تهوى لسانه
الرشد

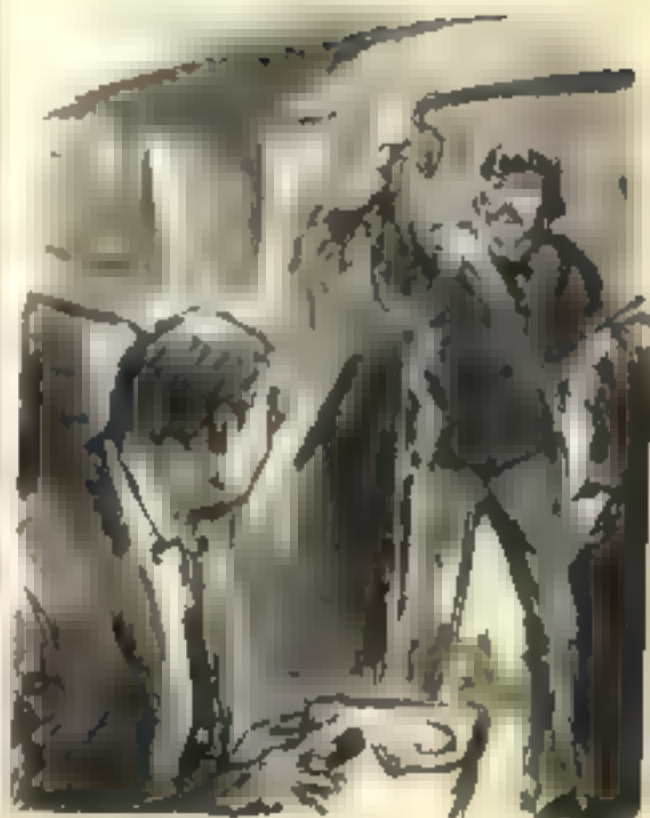
* * *

تهض (دونالسون) للمرة الأولى منذ رأته
من صمخ القشة بحلق ، وتو لم يكن طويل القامة
ليدا كالليل بهداته هذه . إن الهداة مع طول
القامة جعلته صلتها تماماً ليكون صلفة باب
صاح في الرجال باليهادية بالوامر لم تجبهما ،
وصدور ينظر إلى ثم هرع نحو باب الديوان

الذي يخرجون جميعا منه ويهزون جرحس
أو لا يهزون .

ونظرت هوجنت أن أحد الرجلين يلحق
بـ (تونسوى) ، لما الآخر توقف جوارى
ممسا بمسند طويل الفوهة - كاتم للصوت
غالبا - وفي عينيه نظرة تقول « إن ظننت أن
هذه المفوضى هي فرصتك للفرار ، فقلت أحقق
بالتأكد .. »

ومن جديد سمعت طفلة أخرى
وتسألت هل يتوقف القطار الآن ؟ من
التيهى أن يوقف السائق القطار ويتصل بالشرطة ..
لو استطعت أن أضرب هذا البلطجي لفتحت الباب
الآخر وفرت . ولكن كيف أتمكن من هذا ؟ إنه
يقف كبوضة ، ثمس كحيوان (الولفرون)
وفجأة . انقطع التيار الكهربى ، لكن الظلام لم
يسد لأن النوافذ كانت تدخل ضوء النهار



وكان جراب البلطجي يلما جدا . رفع يده ، وكانت تلجس
على كف آدميه متوردة . هذا هو ما يقى من (إيكو) ..

هل لنا واهم لم لي سرعة الفطر تنخفض فعلاً ؟
تحفص غير ملحوظ لكنه يحدث بالفعل شيء ما
يحدث هنا ..

صوت صراخ مربع لم ..

للمرة الأولى أميز هذا الزئير الرهيب ليس
هذا زئير لسمد ولا لب ولا أي وحش سمعت
صوته ليس زئير العواصف ولا به صوت
وحشي لم يخترع بعد ، كأنه خلط الأصوات التي
يقوم به المسمماتيون في عصابة (الميكماج)
لابتكر أصوات لا وجود لها كصوت الديناصورات .

ولمحت وجه اليبلس يتوتر لقد زعزع
للصوت هدوءه الداخلي

طرقات على الباب الأخر

اتجه نحوه والممنس في يده ، وتماطل : من ؟

قلتها باليابسية طبعاً ، لكن الطريق لم يكن مهذباً
بما يكفي .. لقد انفتح الباب عذوة ، ليصدم
الرجل في وجهه ترجع للوراء وتحسن أنفه
وترجع مرتين وقبل أن يرفع الممنس ثقبه
طارق ساق (هن - تشو - كان) إلى وجهه
لتصربه في الموضع ذاته

وفي الثانية ذاتها هبطت القدم لتطير الممنس
من يده ..

لم تكن هناك في هذه المرة بروتوكولات من
طرق (كوسلايك) الخ إلى فرس بتطور ،
وفي عصر الأسلحة النارية لم بعد الوقت كافياً
لطقوس (النافراي) الكسلة ، والا لأقرغ عدوك
ممنسه في رأسك قبل أن تقول (تشلسلايك) .

لتطور الثاني المهم هو أن (هن - تشو - كان)
لتقط الممنس مريعاً من جوار الرجل المنكط على
الأرض ، ولعمسكه في يده .. كاهن (النافراي)
لا يحتقر الأسلحة النارية غريب هذا !

التطور الثالث هو ان القطار بدأ يبطئ أكثر
فأكثر ..

* * *

صحت في مرج ملوحي بدر عي

- « (هن - تشو) * كن يجب ان اعرف
أنك الأهميل الوحيد الذي يثب الي قطار مصرع من
سيارة ! »

كان القلق يادي على سلامحه ، ولم يبد متحاب
بروح الدعاية على الإطلاق

جال ببصره في أرجاء الديوان ، ثم قل

- « لاوقت لهذا (ريفات) حل هذا القيد
يُغلق ؟ »

كن يشير إلى قباب القنص الذي يقود إلى مؤخرة
القطار ، والذي خرج منه (دويلسون) ورجاله
منذ قليل ..

قلت له في حيرة :

- « بالتأكيد ان له مرلاجا و »

- « اخلقه حالا ! »

وإذا تريد عدا يقول بنهجة أرق

- « لا تحف إني أحسن ظهرك ! »

هرعت إلى الباب فأغلقت به حكام بالمزلاج ،
وعت إلى (القنص) المتوتر كوتر القوس
قلت له :

- « ما ريت لا أفهم ما الذي »

وها بدأ القطر يتوقف هبط تسارعه إلى
سرعة لرجل العادي ثم همدت حركته تماما
ونظرت عبر زجاج النافذة كما في المروج
للخسراء وما من مهب في الأفق
- « يبدو أن السائق توقف القطار »

قال (هن - تشو - كن) وهو ينصق وجهه
بالزجاج :

- « لا إبه مستمر نحو (سجويًا) بنفس
مرعته أنا الذي قام بفصل آخر أربع عربات
من القطار ! »

صحت في دهشة :

- « آخر أربع ؟ هل جنت ؟ »

قال وهو يحوم في الدنوان كنمر حبيب :

- « لابد من هذا لن أغامر بل ينتقل الخطر
إلى باقي القطار إلى هناك أبرياء كثيرين وإطفالا
ونساء ! »

- « ك .. خطر ؟ أي خطر ؟ »

قال بوجه صلب قد من حجر :

- « لا أدري لكنه مريع ولا قبل لنا بمواجهته

إلى علينا أن نفعل أي شيء لمعدرة هذا القطار
حالا ! »

لم أحاول الفهم أكثر نظرت إلى الباب
الذي جاء هو منه ، وقتت

- سنعابر من هنا هذا سهل ؟ »

- « ليس سهلا على الإطلاق هناك أحرق
قد عزل تلك العربات عن باقي القطار وقد قطعها
ببراعة هناك باب حديدي لم أستطع فتحه
يسو أن المحصل أغلقه حرس سمع صوت
قطعت .. »

- « هل تعني أن العربات التي نحن فيها ليست
نهاية الجزء المفصول من القطار ؟ »

راح يعد على أربعة أصابع

- « ثمة أربع عربات عربية الشحن التي
تقع في نهاية القطار عربية خالية ثم

للعربة التي نحن فيها ثم عربة خالية أخرى
مغلقة بباب حديدى لقوى منى «

« والأبواب ؟ »

« إنها أبواب بونومتيكية ، ومن الواضح
أن انفصالها عن القاطرة قد جعلها موصدة
ببهاكم »

تحركت فى روحى مخاوف (رهبة الأسلاك
المظلمة) ، وصحت فى زعر :

« أرى أننا لن نخرج من هنا ؟ »

« ثمة فتحة فى عربة القنص لكسالى نذهب
هناك بأى ثمن وثمة القوادس مسهشم القوادس
ونخرج »

لمسكت بمساعدته ملتحاً ، وتساءلت :

« ما الخطر الذى يخوفك إلى هذا الحد ؟ »

نظر لى بعينين لا تريين ، وقال

« لا أرى .. لكن القريتين المجاورتين لنا
ملبنتان بالنساء والأطراف المبتورة لقد رأيتها
تطير وسمعت صراخ قرجال .. إن هذا الظفر
يحمل كابوسنا . كابوسنا ثم نعرفه الكوابيس من
قبل ! »

* * *

١١- الهروب ..

تراجع (هـ - نشو - كان) للوراء خطوة ،
ثم لرد ذراعاه وصعدت الرمال

يوم ! كر ١١١١ ش ١

تهشم رجاج النالدة ، لكنه قلل بحاجة إلى
مريد من المعالجة بمقبض المسدس إكم
تعرفون بلا شك مثانة رجاج هذه الفطرات
الهبائية

هنا سمعنا صوت ارتظام محيف .

ونظرنا إلى الوراء إلى باب الديوان المخلق
بالمزلاج ، فوجدناه يرتج كالماء شيء يصرب به
بلا انقطاع وبهوة غير معقولة

* * *

ومن وراء الرجج الدائري الذي يفصل عربتنا
عن العربية الأخرى رأيت رأيت وجه
(يونقسون) كان يحوى بلا انقطاع وقلم .
آه !

لن أصف المشهد بدقة ، لأننى لمست معن
يستمتعون بهذه الأشياء . أنا لمقت للرب
المعوى بكل صوره رعب الأحشاء الخارجة
والاطراف المبتورة ، وقد كان ذلك المشهد
يحوى كل ما أكره وأخاف فى تكون .

وأبركت فى جزع لن شيئا بمسك به ، ويتسلى
بضربه فى القلب ، كما يفعل طفل شقى بدمية
لأخته المولودة الصارخة

صاح (هـ - نشو - كان) بلهجة عسكرية
امرة :

- = فدهرع إلى العربية للمجاروة ! إبه لن
بترك لنا الوقت الكافى كى

ولم تكن بحاجة إلى مزيد من الشرح .

هرعت أركض بقدر ما سمعت سرعتي ، وبلاطع
أقنظر الفتى حتى رأيته أخرج من باب القديون ،
ثم لحق به ..

وفي الظلام وقلبا في تلك الفجوة ما بين
العريتين ، والتي تبطنها أرضية شبيهة بالأوكورديون
سددت يدي إلى جيبى وحدثت عن
(النيتروجلسرين) نسيت قرصا تحت لساني
على أن أموت في الثانية دقيقتي

إنني لا أحتفل هذا رياء ! أنا لا أحتفل هذا .

أغلق (هس - تشو - كان) باب القديون
خلفنا ، ثم هرع إلى العربة ولما خلفه .

كانت مظلمة اللهم إلا من نور النهار الداخل
من النوافذ . وكنت خائبة تملأ ، إلا من بعض
مقاعد أليفة صامتة ..

سألت الفتى ولما تشير إلى نهاية العربة -

- « هذه القلعة مغلقة بباب حديدى كما قلت ؟ »

- « نعم .. »

حاولت أن أتملق الأمور في ذهني ، فلم أستطع
أن أجد الترتيب الزمني الملائم . قلت له وقد
بدت قصته غير مترابطة .

- « لحظة - كيف استطعت فصل العربات ومتى
دخلت هذه العربة ؟ »

تتهدد في سأم وقال :

- « دخلت من مخزن البصلع - ولم يكن هناك
شيء مريب - إلى العربة الثانية ، ثم خرجت من
مقفلها . بعدها راحلت المشى أو الزحف على
السقف ، ثم سمعت للصراخ والزلازل فلهبمت
ما يحدث وقررت أن أقفل العربات - كان الباب
الحديدى مغلق لهذا خرجت من هذه الفتحة »

وأشار إلى السقف وأردف :

- « وقعت بفصل العربات ، ثم تسلفت ثقبه
لأعود إلى العربّة من جديد ، وأفرع بابك . »
قلت له وأنا أنظر إلى فتحة السقف
- « لكنها ضيقة جداً . مستحيل أن تسمح
لنا به ... »

- « تسمح لي أنا لكنها لا تناسبك حتماً »
قلت له وقد بدت عليهم

- « حين كنت أنت في مخزن البضائع لم
تقم بفتح أحد الصناديق ؟ »

هز رأسه ، وبلى شفته السفلى بنمسته :

- « بلى . كان عليّ أن أعرف . لم أفتح
للصدوق تماماً لكني كشفتها بما يكفي . وكان
ما بداخله رهيباً .. »

- « حين أنت من أعد لهذا الشيء حريته »

- « لكن هذا .. »

وبن كلمة أخرى أطلق الرصاص على إحدى
النوافذ ، وراح يهشم زجاجها بالمقبض

كس صوت الزنبر يتعالى من العربّة المجاورة ،
وأدركت من الخطر صار دنيا بحق

قلت له وأنا أتحرق شوقاً للهروب

- « أنت أولاً . »

- « بالعكس . لا بد من واحد يحمي ظهره »

أنت أولاً »

- « لا بد من واحد يتلقى على الأرض إن

الارتفاع شاهق ولمسوف هشم عيني . لقد

فعلتها مرة حين تعطل القطار على مشرف

(بها) و ... »

« أنت أولاً » .

وهذا وجدت نفسي أحتركتني في إطار النفاذة ..
ثم وجدت في الأسهل أن قطعها بالعكس . تشبعت
بكلتي الفتى وأقبلت ساقى خارج النفاذة . وهوب !
وجدت نفسي ملقى على الأرض جوراً للقطار ، وكل
عضلة في جسدى تؤلمنى ، وكل عظمة مهشمة .

وتنحيت جانباً بينما (هن - تشو - كلن)
يخرج من الإطار بالطريقة الصحيحة المثلى ،
وكما يلطون في السبيل

قلت به في رضا وقد أجمع عقاسى وانتهض

« قد نجوت هذه النفاذة لن تسمح له
بالخروج .. »

« أنت وإهم » - قلها وهو ينفض الغبار
عن ثيابه - « إنه يستطيع حمل أى شيء »
ووقفنا نرمى للعرب الأربع الهلادة .

نرمى العربات التى بجوار فيها خطر قتل غافيا
بصف مليون سبة ، ثم قطعته عسكري بلاتى سمه
(جويما) وبهذا اعلمته للحياة الكاملة حماقة
كاهن من (قنت) اسمه (هن - تشو - كلن)

من الواضح أنه لم يمت قط . لقد أذه غيباب
(الأكسجين) كل هذه الأعولم ، ودخل في سبات
عميق ، ولم يبق منه إلا حين وصل إليه الهواء

لا بد أن (جويما) راه يتحرك لا بد أنه فرك
القول الذى تسبب فيه . لهذا فقد صوبه الخلق
الصندوق كبصا قفى واتقصر كسى لا نظردده
الكوبيس بقية حياته ..

لكن السؤال المهم هو هل كان للشئ كله
داخل الصندوق ؟ إن هو مسخ صغير الحجم حظ

ولم أقهم حتى رأيته هناك

طلب النفاذة حيث كذ بلف

* * *

١٢- الحرقعة ..

كان قول ما رأيته يشبه معصاً كبيراً

ثم بدأت أتبين قدام علامة خصراء القنور ،
تتصغر إطار نافذة فى جثع قطرات من سائل
أخضر شديع تتساقط ببطء على جانب القطر

كانت صورتنا تنعكس على المادة الجيلاتينية
اللامعة ، وقد فهمت ما هناك إن الصورة دقتها
تتراجع . تتشوه ببطء للحظة خويل إلى أن
وجهينا فى الانعكاس يصرخان هولا ثم يفتقدن

الذعر بتملكنى ، والرغبة فى الفرار بأى ثمن

لا مهرب لذلك إنه سيجئنا حيثما كنا ، ولمسوق
يقول ما يشاء هذا . لأنه لا شيء يقف أمام الشيء

الهلج بتملكنى ثم يعم جسدى استرخاء غير
عادى . استسلام ثم لمصيرى ، وما يشعر به
الفرار حين يحاصره القف فى ركن الكرار

لحق أن لهذا الانعكس تأثيراً منوماً واضحاً .

ونظرت إلى (هس - تشو - كان) فوجدته
يرتجف ، وشغاه تردد فى كلمت لا أفهمها ، لكنها
بالتأكيد من صلوات (الفالراوى) القديمة
صحت فيه وقد بدأت أستراد توترنى .

- « لا تضغط يا (هن - تشو) ! إنه يؤمننا
هذا المسخ بملك قوى نفسية واضحة ! »

بدأ يستعيد قواه تراجع يصع خطوات للوراء ،
وتراجعت معه ..

ونظرنا للشيء فى نافذة القطر

* * *

كان بالفعل أقرب إلى الخطوط هلامية لا حدود
لمعالمه كان يذوب ويتجمد بسرعة لا تصدق

دالت هناك انعكاسا مئات الانعكاسات
تترقرق على جسمه الفزج وكل منها ينير الرعب
في بسبينا الرعب والعين

يسبون أن لكل نفس الآن هكذا لفهم ما شعر
به (جوياب) التي تأتي حين فتح الصندوق ووجد
هذا الشيء يتقرقر أمامه

أخرج (هي - تشو - كان) مسنسه، وثبت
براعه جيذا ثم أطلق ثلاث طلقات على الجسم
في النافذة

بالطبع لم يحدث شيء كمن يطلق الرصاص
على موج البحر ..

لكن أجزاء انفصلت من هذا الشيء المفزق
أجزاء تتحرك بالأوهال التي التصقت بما تبقى

من زجاج النافذة، وسرعان ما بدأت هذه الأجزاء
تكتسب مصات وأقدام بدورها، وراحت تحول
الانتحار بكثافة الأم ..

قلت لكم أنني فهمت كيف استطاع (نولسون)
أن يصنع هذا الشيء في صندوق واحد إن أي
جرح منه - ولو في حجم قبضة اليد - يكفى
لبداء الكموس من جديد ..

والآن يبدو قلب الشيء أكثر من النافذة
كس عبدة عن هلام ذاب فيه كل الدم الذي
سفكه وراحت أعصاب بشرية تسبح فيه كس
تسبح عصيت الخلية في (السيوبلترم)

لقد كان (نولسون) سعيد الحظ عام ١٩٤١،
لأنه وجد المحنق مختلفا بالحجر الجيري ولم
ينحرك لكن (نولسون) رأى ما يكفى كس
يرتدب وكى يصنع الصخور كلها في صندوق مطلق
يلجكم

لم يكن (جويلما) سعيد لحظه مثله ، وكذا لم يكن (نوبالسون) حين دخل مخزن البضائع جاهلا ما عليه أن يتوقعه . إن العيونات المبهشة المباحة وسط القهلام تؤكد لى أنه كان تعين لحظه .

وكل السلكى الذى شربه ترى هل يسكر هذا الشيء ؟

وصاح (هن - تشو - كاي) وهو يتراجع متحذرا كالمر :

« هلم يا (رفعت) ! فلننظ ؟ »

قلت لى أن أبذل من وقتى

« هذا لن يكون ! »

* * *

وقلت له مغمرا ونظراته المدهشة تمرق :

« هذا شيء يصعب تدميره ، ولو خرج من هنا لاستحل تدميره . إن كل طلبة تعطينا المزيد منه ، وعما قريب سيكون ممنحولا لن نجد كل أجزاءه فكر فى هذا إنه مارى لدخل القطر يحدث عا ، وهي فرصة نادرة لأننا نعرف جيدا أنه ما من جزء منه خارجة إن قوباء كله هنا ، ولو أضف الوقت فى الهرب فلن نجد حين نعود .. »

صمت ولم يطق . لقد وجد كلامى مقبعا ، وهو يأمل فى المزيد من التفسيرات

قلت له وأنا أتحدثى عليه

« منتهجه إلى مخزن البضائع بحثا عن شيء يصلح . أما أنت فطيك أن نعيد تفكيره عن مفكرة العربية ! »

« هذا سهل ولكن كيف ؟ »

- « عليك أن تعود إلى العربية عليك أن تدبثه
لا تقل لي كيف أنت كده (الانقاراي)
الذي يجيد نظامي رذا القطر . ويحببه اصطفاك
فأر بأنمله . لكن لا تدعه بنفسك فكل هذا
مفهوم »

التمعت عشاء بلداء الأجيال لم يكن ممن
يخلصون للتضحية بحياتهم لأي سبب مهما كان .
هو فقط يكره أن يفعل هذا دون داع
ولم فكره بعيد التفكير ، وهرعت - على قدر
ما استطعت من سرعة - إلى موخرة القطر

- « (هن - نشو - كن) ١ »

- « ماذا يا (ريك ات) ٢ »

- « نعال وساعفني على الوصول إلى باب
الضياع ! إنه مرتفع عن الارض أكثر من
الآزم ١ »

هوع تحوي ، وحملني من خصري كما يحمل
قطفل نميته ، وسرعان ما وجدت نفسي أتمسك
بناظر الباب

قال لي قبل أن أغيب بالدخل

- « (ريك ات) .. ماذا لو كنت بعض أجزاءه
تنتظر بالدخل ٢ »

- « عندها سأعرف ذلك متأخرًا ١ »

وغبت عن عني في الظلام .

* * *

لشطت قداحتي لأتبين موطن قدمي

رياء ! حقًا لم يكن المشهد مما ينبغي خيال
لمراقفت لقد وقعت منبحة هنا منذ قليل ،
ولم أحب ما رأيت ، كما لم أهتم حقًا بما سمعت

كأنت الصناديق مبعثرة صناديق تحوي عظم
(إيمان بكين) فكنى (إيمان بكين) - استن
(إيمان بكين) ثروة كان سيوسيل لها ألعاب
أي عطر صيني ممن يبيعون من اللتين .

وكانت هناك بقايا رجال (نوبالسون)

المرتزقة الذين باعوا حياتهم بالمال لكنهم لم
يحصلوا عليه كل ما سلوه هو وعد مؤجل
بالثراء .

واصلت البحث في القمام في ضوء الشعلة
للمراقص ..

ثمة صناديق كتب عليها (Explosive) (مفجر) ،
وهذا طبيعي بالنسبة لصناديق كانت تستعمل في
عملية الحفر إزالة كهوف وشق جبل لكن
ما حفظها من السلامة بعد ثلاثين عاماً ؟ وبعد
كل الرطوبة التي ركتها في قبو معهد (تشنتو) ؟



استعدت هذه على لسان مؤرخي قدمي ريدو - جيانو بيجر - مسيحية
بندامب خيال الفرافيقاب لقد ولعب مذبحة هذا عند قليل

لا أقل أن هذا الجزء قابل للتنفيذ .

ثم وقعت عياني على أجمل شيء تمنيت أن
أراه . حاوية كبيرة كتب عليها بالإنجليزية
واليهودية (جارولين) .

كان عددها ثلاثاً ..

هذا ما أريد بالضبط ..

بقابل من جهد والحظ الحسن أستطيع أن

ثم عدت أتأمل صندوق المفجرات . أنفجرت
قد حترى ، ثم رحت أهشم الخشب المأكل لدى
يظف أحدها . تحسنت بأناملى وشعرت بتلك
الاصابع الباردة العظيمة المقراصة . لغتراع
المرحوم (ألفريد نوبل) المبارك ينتظر منذ
ثلاثين عاماً ..

وبعد مرتجلة خشوت جيتى بالأصابع . ثم

جريت أول حاوية إلى الباب وركبتها بسافى
لنسقط على الأرض ..

* * *

تمسك أبها (الزهرة الزرقاء) تملكك !

تذكر الاختبار الذى خصته فى سنوات اكتساب
الرجولة ، فى قهو النورس

كان ذلك هو الهول داته لكك انتصرت

لشراء التوقيت بمساب فوق المفعد ، وثمة
ممس طويل يتجه بحوله فتراجع . وممس آخر
يجىء من الخلف تثب فوق المفعد إلى قوراء

ويعر شينس مقينان فوق رأسك ليتجم

كنت رأيت كيف يمسك هذين الممسان بالشخص
ويشطرانه إلى نصفين . رأيت كيف يتزعج
الممس الأكبر والأرجس

الكتلة المخيفة تتشكل من جديد في شكل قم
ذي ثياب .. والأنياب تقطر بالدموع الأخضر ،
ومن حول القم تبرز عشرات الممسكات كلها
تقولك إلى أعماق أعماق القم ..

ممس يحاول الالتفاف حول قدميك فتشب في
الهواء وتتعلق بصود معني هناك .. تتلرجح
وتهبط بعيداً ..

* * *

« كلنا اجترناه قبلك .. ليس الأمر مستحيلاً .. »
« لا تدع نهران ذهنك تخبّ ثاقبة واحدة ..
إن تلك الثاقبة ستكون الأخيرة .. »

* * *

ومن جديد امتزجت بالشهب والسدم والإلكترونات
في مداراتها المرمدية .. صرت بعوضة تتلاقي
الأكف القضة ، وصرت ثعباناً متوتراً يرقد بين

الأعشاب ، وصرت (نافاراي) كما ينبغي أن
يكون (نافاراي) ..

* * *

المادة الخضراء تغمر الجدران .. إن
لا جدران ..

المادة الخضراء تلوث الأرض .. إن لا أرض ..

المادة الخضراء تنتشر في الهواء .. إن لا هواء ..

ولن ذهب (رفعت) ؟ لن ذهب ؟

* * *

- « اخرج يا (هن - تشو - كان) ! »

تسمع الصوت وتنتظر إلى النافذة المهشمة
التي ابتعد عنها المسيح كما تمنيت ..

- « اخرج يا (هن - تشو - كان) لو كنت حياً ! »

تتقدم - كالمسهم - نحو القاذفة ، وأنت ترجو
الأيامها سوط آخر في أية لحظة ..

- « لخرج يا (هن - تشو - كان) ! فالانفجار
وشيك ! »

تكون جسدك كما يفعل القط .. وتثب من
القاذفة إلى الأرض ، وتواصل الدهرجة كالتلوج
فوق جبال وطله ..

ويكون آخر ما تراه هو (رفعت) .. وتنتظر
للوراء فتجد الثيران تشتعل في بركة من سائل
ما تم رشه بغاية حول عربات القطار كلها ..

تنظر للوراء فترى أصابع كالمسجل منتشرة
بانتظام تحت العربات ، وفي كل تجويف منها ..

وفي اللحظة التالية يبدأ الانفجار ..

ليس انفجاراً واحداً بل سلسلة طويلة منه ..

كل شيء ينفجر .. العربات ترتج .. بعضها
يشعل .. لكن قوة الانفجار لم تصل قط إلى هذا
تدمير حربة منها ..

* * *

وفي النهاية وقلت - أنا (رفعت) - جوار
(هن - تشو - كان) نلهث ونتهلث النظرات ..
كنت أخرج على سافى التي هبطت عليها لكنني
سعيد ..

فحمد الله ! ما زال التوليد قائماً على الانفجار
بعد كل هذه الأحوال ..

كانت القار تتصاعد شائعة ومعها الدخان الأسود
الكثيف .. العربات تلحست وبدأ معطنها يلحظ
ويتجهد ..

سألت (هن - تشو) لاحقاً :

- « هل تظنه ذلك ؟ »

كان صدره يعلو ويهبط بلا تقطاع ، لكنه
استطاع أن يقول :

- « هل تجرؤ على الفتى لقرى ؟ »

- « لا .. فى الواقع لا .. »

- « إذن لنترحل من هنا قبل قدوم رجال الإنقاذ
والشرطة .. سيكون موقفنا فى غيبة الحرج
ألتذ .. »

ودون أن ننظر للوراء ابتعدنا ..

* * *

خاتمة

بعد يومين فارقت اليابان عتداً إلى مصر ..
اعتقد أن (هن - تشو - كان) لم ينتظر
طويلاً قبل الرحيل إلى الصين ..

لقد غطرت عبارة محيطات ميناء (ناجويا) ،
ولم يكن على ظهرها شيء ذو قيمة .. لقد
وجدوا جثثاً ممزقة متفحمة فى العربات التى
انفصلت عن القطار وهم يرجعون حدوث عمل
إرهابى .. لقد اغتلت آثار إسمان (يكون) للأبد ..
وإن كانت بعض العظام المشيمة المتفحمة التى
وجدوها تحمل سمات تشريعية خارقة للعادة ..
لكن ما تبقى منها لا يكفى للتأليح محددة ..

وقد سألت للكاهن الأخير قبل الرحيل :

- « هل تلتقى للشيء حقاً ؟ »

- « لا أقرى .. ولو كان الأمر بيدى لدلفت بقاياها
فى معزل عن الهواء .. ربما تحت الأرض بأموال .. لكنى

لا تصبه قفراً على البقاء حياً في تلك المحرقة ..
« ولئن تلك الثلاثة .. (أوشيمو) ؟ »

ابتلع ريقه ونظر بعيداً ، وقال :

« كذبت في العربية الملائسة لك .. لقد
تعرفت جنتها قبل أن أتى إلينا .. »
ساد الصمت هنيئاً ، ثم سأله :

« لقد لقد الصليبيون عظام رجلهم للأبد ..
« عليهم قبول الهزائم كما يقبل التمسك بالخيز
الجاف .. »

« على كل حال ، لقد خلقنا نجلعاً لا بأس به ،
وإن لم يشعر به أحد .. تخيل فتح هذه الصناعات
في (اليابان) أو في (أمريكا) .. كانت أطراف
أكثر من السلام ستطير قبل أن يعرف الناس
كيف يتخلصون من هذا الكابوس .. »
وصافحته في حرارة :

« دأباً يا (هن - تشو - كان) .. كالعادة كنت

كنت الكاهن الأخير الذي حطم نخيل القنرات لتتحمل
البشرى .. »

« مازلت ثرثراً يا (ريفالات) .. إن كلمت لا
تضيف شيئاً إلى صدقتنا .. »

وكذبت هذه نهاية لقائنا هذا .. لكن لقاءات
أخرى كانت تنتظرنا ، وكنا متفاهمين بعضي ،
لكني لا أجسر على القول إننا (قريب) .. هذا
الفتى قريب من المحاربين وحده ، فمن المفرور
الذي يزعم أنه علونه يوماً ؟

* * *

وحيث عدت من (اليابان) كانت بالتفكرى
قصة مسلية نوعاً ..

قصة رفح أبطالها ويزحطون وبلدغون ،
ويتهمون الفاران ..

لكن هذه قصة أخرى .

« وفهد إسماعيل

القاهرة